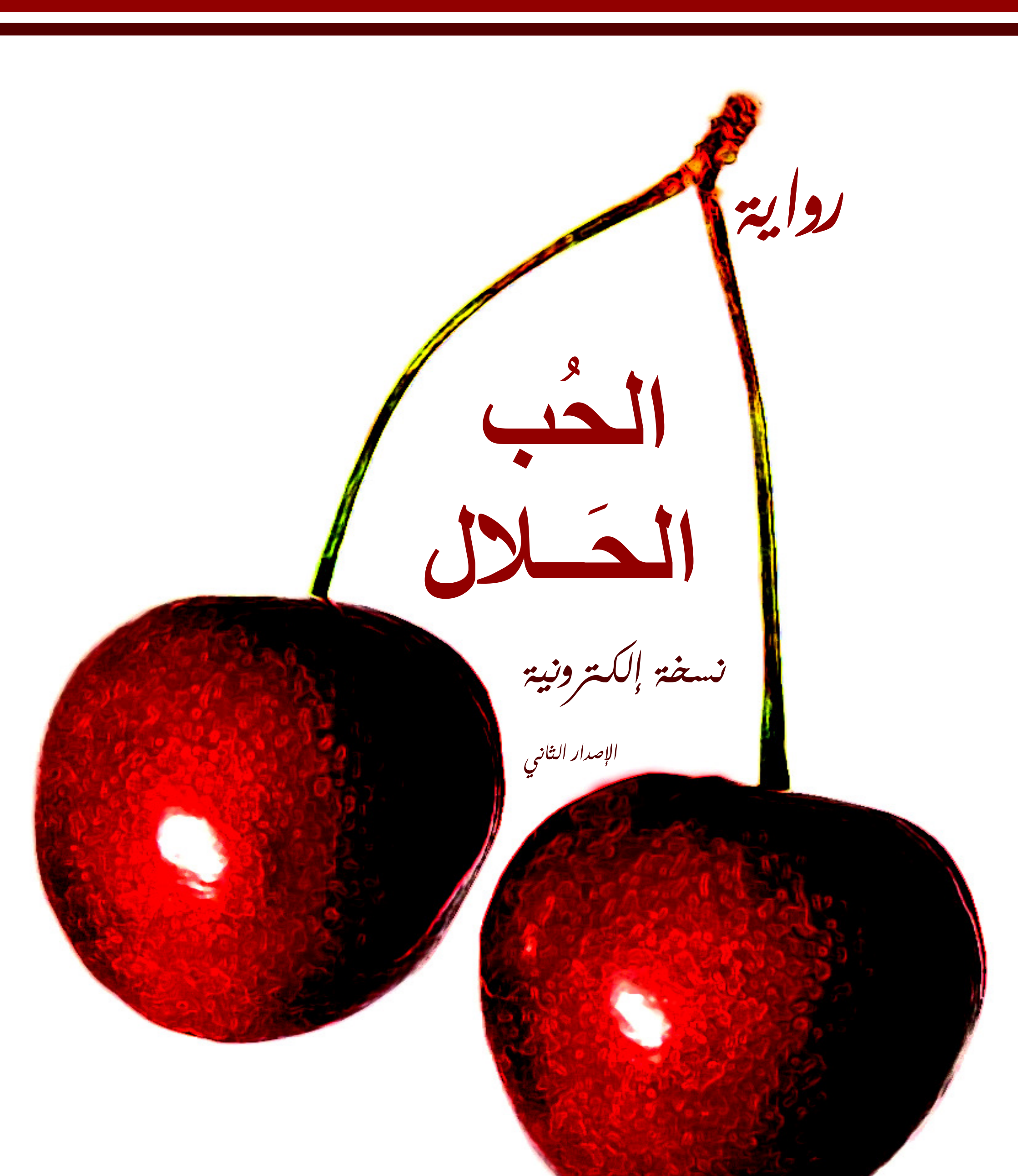
المهند السّبيعي



رواية

الحُب الحَلال

نسخة إلكترونية

الإصدار الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحُب الحَلال

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم : ٢١

إهـداء

أهدي هذه الحروف لنصفي الآخر للقلب الذي مدَّني بالحب والعاطفة التي أمطرت هذه الكلمات. . .
إلى حبيبتي و زوجتي الغالية
تقَى



الفصل الأول: الحب الأعوج

قبل بداية الدراسة في صفوف الجامعة كُنت في أحد الأيام بصحبة أمي للتسجيل بإحدى جامعات الأردن.. في ذلك اليوم رأيت فتاة يغلب عليها ملامح أهل الشام، كنت حينها في ربيعي الثامن عشر حديث عهد بكل شيء أشعر بقيود فرضها علي مجتمع أعيش به لم ينجح في موازنة كفَّة التوعية الدينية عن كفة الهوى، في شتى تفاصيل الحياة الصغيرة والكبيرة يتوفر خيارين: فإما أن نقنع الطرف الآخر ونَزيد من وَعيهِ أو أن نُجبرَهُ على فِعل ما نريد فيَشعر بالكبت وينتظر اللحظة التي سيبتعد بها عن ذلك المجتمع ليُفجر طاقاتِه .. كنت في ذلك الوقت من الأشخاص الذين لم ينجح المجتمع في صقل هويته الدينية.

عُدت من جديد إلى وطني أنتظر يوم بداية الدراسة بعد شهرين أمضيت بهذه المدة عُطلة جميلة أحاول بها أن أفعل كل ما أستطيع فعله وكأنها آخر إجازة أحظى بها في حياتي لكثرة ما خُيّلَ لي من كلام الناس عن المآسي التي سنواجهها في الجامعة ويبدوا لي الآن أني كُنتُ أستمع إلى وُجَهَةِ نَظَر سَوداويَّة اكتشفت عدم صدقها بعد أن فات الأوان. جاءت أفواج الطلاب على اختلاف أعراقهم وجنسياتهم وألوانهم وأديانهم بغية التعلّم والحصول على الشهادة ليكمل كل منهم مسيرةَ حَيَاتِه منهم من استمر حتى النهاية وكان

على قدر المسئولية والأمانة التي حمّلها إياه أبواه ومنهم من استسلم وعاد أدراجه بخفي حنين، في اليوم الأول من الدراسة رأيتها من جديد فبادلتني ابتسامة، كان ذلك بالنسبة لي تجربة جديدة وفي بعد عن أنظار الأهل و عيون المجتمع بعيدة لدرجة أنها أنستني أن هناك من يراني من فوق سَبعِ سموات وأن هناك رَقيبًا يُسَجّل لي كل شَاردة وواردة فبادلتها الابتسامة وَمَضَى كُلٌّ منَّا في طريقه.

بدأ الطلاب بشراء الكتب الجامعية كل منا يُقلبها ويَضُمُّها كما تضم الأم مولداً لها، كنا فرحين بهذه المرحلة من حياتنا خائفين مما يخفيه لنا المستقبل والفالح من انشغل بحاضره عن انشغاله بماضيه أو مستقبله، تخلّلت أيامي الأولى في الجامعة الكثير من الفكاهات وتُهْتُ كثيرا في ممراتها وأنا أبحث عن قاعات الدراسة وكثيرا ما سَألتُ طُلابا يبدوا عليهم أنهم قدامى فِإن كُنْت أبْحَثُ عَنِ الشَّرقْ أرشدوني إلى الغرب وإن سألتهم عن الشمَّال قَذَفوني إلى الجنوب يفعلون ذلك انتقاما لأنفسهم في أشخاص لا ذنب لهم في ذلك، ولا أخفيكم أن أحد من أصدقائي غُرِّرَ بِهِ حينما أرشده أحد المشاكسين إلى سكن الطالبات دون أن يدري ولم يدرك أنه في سكن الطالبات حتى وبخه أحد حراس الأمن في ذلك السكن، بعد تلك الحادثة قررت أن لا أسأل إلا الفتيات ولم ترشدني إحداهن إلى مكان خاطئ أبداً .. أمضيت وقتاً كثيراً في الجامعة لكي أعرف دهاليزها بالتفصيل ولكي لا أتعرض إلى مواقف محرجة من جديد.

كانت تلك الفتاة التي لا أزال أجهل اسمها و موطنها وأجهل كل شيء عنها تدرس في كلية الصيدلة وكثيرا ما تكون متواجـــــدة فـــــي الكليـــــة و مـــــا حولهـــــا...

باتت أقدامي تَجُرُني إلى كُليَّة الصَّيدلة كَثيراً لأراها مَرَّة كُلَّ يوم، وكُلُّ ما بَيننا كان ابْتسامات ونظرات لا أكثر هكذا كنت أقول "لا أكثر" لاستخفافي بالأمر ولكن سبحان من أمرنا بغض البصر فهو أعلم بنا ورسولنا الكريم الذي قال لعلي بسند حسن " يا علي ! لا تتبع النظرة النظرة ؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة"، هذه النظرات كونَّت في خاطري أشياء كثيرة، كنت أتخيل بحسن نِيَّة أني سأعود لأهلي وأخبرهم عنها ليَخطُبوها لي فنتزوج ونعيش سويَّةً في شقة نستأجرها حتى ننهي دراستنا الجامعية معا وكانت هذه التخيلات تكبر يوما بعد يوم وكأنها شجرة أسقيها من نبع الأوهام، وتطورت حالتي مع الوقت وازدادت تلك المصادفات التي أصطنعها لكي أراها وأسميها مقنعاً نَفْسي بالصُّدَف، ومن ثم أصبحت أراها في المدينة التي كنا نقطن فيها لأن الجامعة كانت تقل الفتيات كل يوم للمدينة بهدف التسوق ثم تعيدهم إلى السكن الجامعي حيث أن الجامعة كانت بمعزل عن المدينة، مرت الأيام و أصبحت الأوهام تناطح السحَّاب لدرجة أني كنت أرمق من ينظر لها أو يحدثها بالعين الحمراء وبعقدة على حاجبي وكأنها زوجتي أو قريبتي وقد بادلتني أحيانا تلك التصرفات ولا أدري حتى الآن أنها كانت جدَّية في ذلك أم لا، لا أدري إن كانت تعيش

نفس الوهم أم كانت تلهو ولا أكترث لمعرفة ذلك الآن، نقص وزني بشكل كبير وفقدت ما يقارب الخمسة عَشر كيلوجراماً خِلال الأربعة أشهر الأولى ولم يكن الجاني على شحومي إلا التفكير والتوهم بأن هذا الفتاة ستصبح زوجة لي عمَّا قريب.

أحْمَد الله أن بعضا مما تعلمته من العلوم الشرعية أثناء مراحل دراستي السابقة ردعني من أن أتمادى في الوقوع في ذنب غير النظر والتوهم، وجعلني متمسكا بمبدأ أن لا أكلم هذه الفتاة حتى أتَقَدم لها بشكل رسمي ويصبح بيننا رابط شرعي.

انتهى الفصل الدراسي وعدت لأهلي متحمسا منتظرا لحظة لقائهم لأخبرهم بما ظننته أن سيطير عقولهم من الفرحة وما يجعلهم يتقدمون لهذه الفتاة بأسرع وقت، وعند لقاء الأهل لم ألبث إلا وفاتحتهم بالموضوع ولكن رَدَّة الفِعل كانت صدمةً كبيرةً لي: وقد تمثلت برفض قاطع سببه إنهاء دراستي وهنا كانت الصدمة وكان ثمن التوهم غاليًا حارقًا للقلب مُجريًا للدموع .. و لكم أن تتخيلوا كم هو صعبٌ أن يصطدم أي إنسان بواقع أنه لن ينال حبيبه الذي أحبه ومرت أيام الإجازة حزينة كالحداد.

وعدت من جديد لبداية الفصل الثاني و كان هذا الفصل كالعذاب بالنسبة لي فأنا أراها بالصدفة الحقيقة هذه المرة وكلما أراها أتحسر على غبائي أتحسر على وقتي الذي ضاع وأنا أتوهم كلما رأيتها أشعر بحشرجة في قلبي وأحس بأنه يتقطع، وعدت إلى مسلسل خسارة الوزن من جديد وخسرت في ذلك الفصل الدراسي تقريبا عشرة كيلوجرامات ولا أدري هذه المرة من الجاني ..

أمسكت بقلم ودفتر أزرق صغير لا زلت حتى الآن احتفظ به بعد أن طوقته بكثير من الأشرطة اللاصقة كي لا يستطيع أحد فتحه، جعلته كالمومياء، أصبح ذكرى خرساء تؤلمني كلما وقعت بيدي، كتبت به الكثير وبكيت كثيراً وأنا أكتب امتلئ ذلك الدفتر الصغير بمزيج من الدموع والخواطر والرسائل أذكر نص أحدها أحدث به نفسي قائلا:

سؤال بلا جواب
لما قدّر لي أن أراها.. وأن تقع في قلبي من النظرة الأولى
هل كان هذا غباء؟....أم كان ابتلاء؟
هل كان ذنبي أم ذنبها؟
نُقِشَت صورتها على قلبي كما تنقش صوره الأم في مخيلة ولدها.
ويتدخل القدر كما جمعني بها .. أبعدني عنها .
والقلب المجروح .. لن ينساها ..
لا لن ينساها ولو التأمت الجروح

لـن ينساها حتى يتوقـف نبضـه.!!
لـكنه يتمنى لهـا الخيـر دائما.
ويســتمر السـؤال بلا جـواب
هل كان هذا غباء ؟ أم كان ابتلاء

لقد كان سؤالي بلا جواب في تلك الأيام ولكن الآن أستطيع البت بأنه غباء ولا اعتراض على القدر فأنا من فعل ذلك بنفسي وما أجبرني أحد على ذلك وأنا من ظلمت نفسي ولم يظلمني أحد وكلما أتذكر هذه الحادثة أتذكر قول الله تعالى : {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [١]

لقد ظلمت نفسي كثيرا منذ أن عصيت أمر ربي عز وجل بغض البصر وظلمت نفسي أكثر عندما كررت النظر وظلمتها أكثر وأكثر عندما بدأت بالتخيل والتوهم .. ولكني أستحق ما حصل لي فكل ذلك من حصاد زرعي.

في تلك السنة أخفقت إخفاقا كبيرا و تركت الجامعة التي أدرس بها كي لا أراها مجددا ومع ذلك أصبحت أراها في شوارع المدينة فتركت المدينة وسكنت مدينة أخرى قريبة هي الأخرى من الجامعة التي انتقلت لها، تناسيت ذكرى ذلك الحب وحيد الطرف بصعوبة وقطعت عهداً على نفسي أن لا أفكر بالحب مُجددًا حتى إشعار آخر .. وهكذا انتهت قصتي مع الحب الوهمي .. الحب الحرام .. الحب الملتوي ..

---

[١] التوبة : ٧٠

لا أدري بماذا أسمِّيه؟ ربما كان الحب الأعوج أفضل اسم يمكنني أن أمنحه إياه ومضت السنين وتخرجت من الجامعة بتوفيق من الله ودفنت قصة ذلك الحب في الدفتر الأزرق الصغير وتركت ركام أوهامي ورماد خيالي المحترق خلفي ورميت التفاصيل في محيط عميق في ذاكرتي قد تعجز نفسي على الوصول له.

نحن عندما لا نحب بالطريقة الصحيحة ندنس الحب كما يدنس عامل بناء بنطاله الأبيض أثناء عمله فإن سألته عن سر اختيار للون الأبيض عن سائر الألوان الأخرى التي قد لا يظهر عليها الاتساخ قال لك: لم أجِد غيره في سوق الملابس المستعملة وهذا حال من يحب بالطرق العوجاء يقول لم أجد نفسي إلا واقعا بالحب لا أرى لونه ولم أكن أتخيل أنه سيفعل بي ما فعل .. نحن عندما لا نحب بالطريقة التي شرعها الله لنا لأنه أعلم بنفوسنا وأعلم بمصالحنا من الناس أجمعين نكون عاراً على الحب.

يتحمس البعض عند معرفته بأنه سيقرأ قصة حب مأساوية وكأنه بذلك يواسي خاطره المنكسر من قصة حصلت معه ويقول له: لا تحزن ولا تنكسر فأمثالك كثر، ولكني لا أؤمن بأن هذا النوع من القصص يستحق التّخليد ويستحق أن يدوَّن على ورق والأجدر بمن خاض هذا النوع من التجارب أن يجعل من تجربته درسا وعبرة لنفسه كي لا يحب بطريقة عوجاء من جديد.

آلمنــي انتشــار روايــات الأدب الجنســي والحــب الفــاحش وتربّعهــا علــى عــرش الكتــب ومــا هــي إلا روايــات تحمــل بــين طيَّاتهــا و مــا وراء كلماتهــا المقنَّعــة والمزينَّــة بــألوان مقلّــدة إلا دعــوات للرذيلــة والانحــلال الخلقــي وتحــتج بأنهــا تعكــس صــورة المجتمــع الواقعيــة ولا تتحــدث إلا عــن حقــائق، وهــي فــي الواقــع لا تعكــس مــن المجتمــع إلا ربــع الكــأس الفــارغ وتغــض الطــرف عــن الثلاثــة أربــاع الكــأس الممتلــئ، فأحببــت أن أقــوم بمبــادرة أعكــس مــن خلالهــا للقــارئ روعــة وجمــال تجربــة الحــب بــالحلال ومــا تحملــه هــذه التجربــة مــن أيــام وذكريــات وتجــارب لا يمكــن نســيانها ولا يمكــن مقارنتهــا مــع الحــب بــالحرام الملــيء بالأوهــام والأكاذيــب، ســائلا المــولى أن يقــرب الفكــرة إلــى قلــوب كــل أعــزب أرهــق مــن طغيــان العولمــة والانفتــاح وبــات يشــعر بالوحــدة والاســتوحاش لخلــو حياتــه مــن شــريك يؤنســه ويقــف معــه فــي الســراء والضراء.

الفصل الثاني: الحب العذري



كلمة كثير ما نسمعها ولكن دون أن نعي مصدرها فليس كل الكلام قاموسيٌّ المصدر، إذا سمعها أحدنا خطر على باله أنه يعني ذاك الحب البريء ذو النوايا الحسنة التي لا يرجوا بها المحب من حبيبه مالاً أو جاهاً .. وإنما هو حُبٌ من أجل الحُب .. مثله كمثل حُبِّ الأمهات والآباء لأولادهم .. حيث يتمتع البنون بالود والحنان والتضحية من أجلهم بالنفس والنفيس. والحب الفطري عند الإنسان وعند الحيوان هو حب غريزي والحديث عنه يطول.

كلمة العذري أتت من قبائل يقال لهم بنو عذرة كانت تقطن في شمال الحجاز وتمتد بطونها وأفخاذها من المدينة إلى الشام، كانت حياتهم هادئة وآمنة مقارنةً مع القبائل الأخرى وخلت أيامهم من الحروب والعداوات، وكان لهذا أثر كبير في خلق شعر غنائي متميز عن شعر باقي القبائل العربية قوامه التعبير عن آلام النفس إزاء الحب وكأنهم بسبب هذا الفراغ والانطواء وجدوا وقتا كافيا للتعبير بهذا الغزل حتى قيل عنهم أن كثيرا من شبابهم ونسائهم ماتوا بسبب العشق وكان إذا سُئِل أحدهم ممن أنت فيقول : من قوم إذا أحبوا ماتوا، ويضيف آخرون أنهم كانوا رقيقي القلوب وكانت نسائهم من أجمل نساء العرب.

جاء الإسلام فصقل شعرهم بتعاليمه وتوقف شعراء بنو عذرة عن استخدام الأوصاف الإباحية في شعرهم ليصبح عفيفا نبيلا .. وامتدت جذور هذه المشاعر من البادية إلى الحضر في الحجاز في مكة والمدينة إذا تجد أن نسائهم ورجالهم يتميزوا عن أقرانهم في تلك المنطقة في الكلام حتى عصرنا هذا، فتجد بين طيات كلماتهم مشاعر ملتهبة لا تلمس في نسيجها البديع لا تكلفا ولا مبالغة تجمع حروفها الحزن والسعادة واليأس والرجاء وقد تفاوتت الآراء عن أولئك الشعراء فمنهم من حرَّم أسلوبهم ومنهم من قال أنه عفيف طاهر لا يعارض الإسلام في شيء وكانت حجة من جعلوه مكروها أقوى .. فكيف للشاعر العاشق أن يعشق فتاة أو يحبها على فرض أنه لا يراها ولا يحدثها.. وإلا فهو يفعل الحرام إن ثبت عكس ذلك.

أجد صعوبة في نسيان تلك الأبيات التي خطّها ابن الأحنف في فتاة اسمها ظلوم كانت الحب الثاني في حياته، يقول ابن الأحنف:

أَظَلومُ حانَ إِلى القُبورِ ذَهابي**وَبَليتُ قَبلَ المَوتِ في أَثوابي

فَعَلَيكِ يا سَكَني السَلامُ فَإِنَّني**عَمّا قَليلٍ فاعلَمِنَّ حِسابي

جَرَّعتِي غُصَصَ المَنِيَّةِ بالهَوى**أَفَما بِعَيشِكِ ترحَمينَ شَبابي

سُبحانَ مَن لَو شاءَ سَوّى بَينَنا**وَأَدالَ مِنكِ لَقَد أَطَلتِ عَذابي

والسـؤال الـذي يطـرح نفسـه : هـل بقـى مـن بنـو عـذرة أحـد ليـأتي ويـرى مـاذا صـنع النـاس بالحـب؟ وهـل تبقـى مـن يحـب بحـب أهـل عـذرة؟ وأيـن حـب هـذه الأيـام مـن حـبهم الطـاهر الفطـري الـذي لا يعـرف مصـلحة ولا مـال ولا وصـال ولا جمـالا و لا محـال .. لـم أقـرأ أجمـل مـن قصـص حـب بنـو عـذرة وأتمنـى أن يكـون حبـي لزوجتـي عـــــــــــــــــذريا فطريـــــــــــــــــا . . . . . .

شـهور تجـر شـهور ليسـتطيع ذاك الأعـزب أن يقـول أنـه بلـغ الخامسـة والعشـرين مـن عمـره .. وهـو مـن زمـان بعيـد يفكـر فـي الـزواج ويتحـدث عنـه ويكتـب عنـه ويحلـم بـه منـذ أن كـان فـي الثامنـة عشـرة حينمـا وقـع قلبـه أسـيرًا فـي شـراك حـب ظـالم مـن طـرف واحـد كسـر خـاطره وقطـع فـؤاده بعـد أن رفـض أهلـه بـأن يتقـدموا لتلـك الفتـاة لأنـه صـغير بنظـرهم ولأنهـا كانـت تكبـره بسـنة دراسـية واحـــــدة وربمـــــا تســـــاويه بـــــالعمر الفعلـــــي.

بعـدما اسـتطاع جمـع شـتاته المبعثـر مـن هنـاك وهنـاك وبعـد أن جفـت الـدموع وتوقفـت خـواطره وفقـد الأمـل وتـرك المدينـة والجامعـة التـي كـان بهـا بغيـة أن لا يـرى حبيبتـه قطـع عهـدا علـى نفسـه بـأن لا يقـع فـي علاقـة عاطفيـة مـع أي فتـاة إلا التـي سـيعقد عليهـا النكـاح كـي لا يكسـر قلبـه أو قلـب غيـره، ولـبس محـبس (خـاتم) الخطبـة فـي يـده أكثـر مـن سـنتين لـيس لشـرعيته ولكـن ظننـا منـه

بأنـه سـينقّر جـنس حـوَّاء مـن حولـه لأن معظـم النسـاء فـي هـذه الأيــام ينظــرون فــي يــد الرجــال ليعرفــوا إن كــان متزوجــا أم لا لغايــة لا يعلمهــا إلا الله .. كــان بلبســه لهــذا الخــاتم معلنًــا إخلاصــه لزوجــة لا يــدري فــي ذلــك الوقــت مـن تكـون ولا يـدري هـل سـيحيى لتلـك اللحظـة ليراهـا أم لا.

الحقـائق علقميـة وشـوكيه فـي الحلـق .. لـن تصـل لهـا إن لـم تعـاني الأمـرين ولـن تـتعلم مـن النصـائح إذا لـم تخـض التجــارب بنفســك فــي معظــم الأحيــان، لقــد حــذّرنا الكثيـرون مـن الحـب لأنـه مـارد كبيـر إمـا أن يخدمك وإمـا أن يُهَشِّــمك فمُجَاراتُــه تحتــاج إلــى درجــةٍ عاليــةٍ مــن النضــوج، ومــع ذلــك نــأبى إلا أن نجاريــه ونتحــداه لنقــع علـى رأسـنا فنسـتيقظ مـن غيبوبـة طويلـة سـببها لنـا سـراب وردي لــه رائحــة مُخــدرة تتشــكل مــن قصــص نســمعها و نقرأهــا عــن الحــب دون أن نعــي أن معظمهــا قــد حِيــكَ ونُسِـجَ بهـدف انتقـام أولئـك الـذين كتبوهـا مـن الحـب لكـون هــــزم وصــــرع الكثيـــــر مـــــن النـــــاس ..

أراه زهــرة قرمزيــة شــائكة ذات عبيــر طيــب قليــل مــن ينجـو منهــا، فإمــا أن يكــون تقيًــا يخــاف الله أو صــاحب حــظ تعـيس لـم تتــاح لــه الفرصــة ليحــب .. جــرح هــذه الزهـرة رديء لا يلتـئم حتـى آخـر نفـس فـي الحيـاة ويبقـى يَنـزفُ ذكريـات مؤلمـة فـإن أحـب المـرء مـن جديـد يـأتي

حبيبه ليضع يده على ذلك الجرح فيتوقف النزيف ولكن الجرح موجود.

ننتظر كثيرا لنحصل على الأشياء التي نتمناها ولو حصلنا على كل ما نتمناه لفقدت الأمنية معناها و جوهرها ولتوقفنا عن التمني ولأصبحت أحلامنا ممتلئة بتجسيد الحرمان والجوع والحرب لتعويض جانب الصبر الذي كنا نصبره للحصول على ما نتمناه أو نحلم به، ولهذا نرى أن أعلى نسب انتحار تسجل في دول يتوفر لأبنائها كل ما يتمنوه دون عناء فأحبوا أن يتمنوا الموت لأنهم استنفذوا كل ما يمكن أن يتمناه المرء ولعدم وجود إيمان لديهم أو لعدم توفر أي رادع ديني لم يكن أمامهم خيار إلا طريق الانتحار. بعد ست سنوات تقريبا تحققت أمنية ذلك الشاب ووقع في الحب من جديد ولكن هذه المرة بالحلال وأراد هذا الشاب أن يخلد تفاصيل هذه المغامرة فلم يجد إلا القلم و الورقة جنودا أوفياء ومخلصين لهذه المهمة.

إن عملية تجسيد مرحلة من مراحل الحياة بأدق تفاصيلها .. بأفراحها وأتراحها وبإهمال الرتابة منها على ورق أخرس في حروف صماء أمر صعب كيف لا وقد نرى أشخاصا أمامنا لا نستطيع فهمهم ولا يستطيعون أن يصفوا لنا شعورهم وأحاسيسهم دون أن يكون هناك عوائق لغوية !!

إن الذي ينجح في الولوج إلى عقول القراء من خلال بعض الأوراق هو شخص يحمل الكثير من الخبرة والتجارب والكثير من المآسي والأفراح وسافر كثيرا وتعرف على أضعاف أضعاف ما يعرفه الفرد العادي من الناس وأمضى وقتا طويلا في الملاحظة والتأمل والمقارنة والتخيل، ما سأكتبه هنا هو عبارة عن تجسيد لوقائع من أرض الواقع .. كم كان يشدني ذلك الفلم الذي تبدأ مقدمته بجمله "مقتبس من قصة حقيقة" وهذا ما تقرؤونه الآن .. تجسيدا لقصة حقيقة وليست أي قصة، إنها قصتي الشخصية.

هناك فرق كبير بين سمو الأحاسيس والمشاعر وبين طغيان الغرائز والأهواء، مفارقات كثيرة بين الحب الحرام والحب الحلال، هناك فرق كبير بين حب يُحاك نسيجه في السِّر وآخر في العلن، هناك فرق كبير بين حب مليء بالشبهات والحرمات وآخر يجلّله الوفاء والصفاء علاقات كثيرة سمعنا بها أو رأيناها من حولنا أو عايشناها ولكن على ماذا يجتمع أولئك المحبون بالحرام وإلى ماذا يتوصلون وإلى أين يصلون في نهاية المطاف؟

تمنيت أن أجد شخصا واحدًا خرج من تجربة حب محرم ليقول لي استمتعت أو أن يقول أود أن أعيد هذه التجربة في أقرب وقت، هذا أمضى خمس سنوات ثم تقطع قلبه لأن حبيبته قد أجبرها أبوها على الزواج من شخص ما والآخر انقلبت عنه حبيبته بعد ثلاث سنوات حب ولا يدري لماذا ولا تدري هي لماذا وكلاهما لم يتزوج وآخرون تزوجوا وما زال قلبهم معلَّق بمعشوقين متزوجين .. كلها قصص تثير الاشمئزاز وإن أثارت بالبداية العواطف و استفزت المشاعر لتفاصيلها المأساوية ولكن كل هذا بالنهاية ضريبة الحرام الذي وقع الكثيرون فيه ظنًا منهم أنهم سيتزوجون من ذلك الشخص الذي أحبوه وهم لا يدرون أنهم يرمون بأنفسهم وأحبتهم إلى الهلاك لأن الزواج شيء لا يتحقق إلا بطرق الباب لا بالقفز من النافذة وكل العلاقات التي تنشأ من دون خطبة رسمية وعقد قران هي علاقات باطلة وإن حسنت النوايا حتى ولو كتب لبعضها التوفيق وهذا شواذ القاعدة، ولكن مرادي هو جعل الأمور واضحة وعلى الأصول منذ البداية، تذكرون المثل الذي يقول: "المكتوب مبين من عنوانه" وهو يعني أننا يمكننا التنبؤ بما هو مكتوب في ورقة أو جريدة أو كتيب أو كتاب من خلال العنوان، والعنوان الجيد للعلاقات بين أي رجل وامرأة هو الخطبة أو عقد القران والعناوين الأخرى لا تعجبني ولا يجب أن تعجب أي مسلم ..

الفصل الثالث: رفيق الدرب



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم قال تنكح النساء لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" [٢]

حَصَرَ الرَّسول صَلَّى الله عَليه وسلَّم أسباب نكاح المرأة في أربعة أسباب يبحث عنها الرجال في غالب الأحيان ونوَّه في نهاية الحديث على كون المرأة المتدينة يجب أن تكون الصفة الرئيسية والأولى في زوجة المستقبل، ويبدوا لي أن في ترتيبه حكم بليغة فما ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، فنرى المال أول الأسباب فهو يطغى على الحسب لأنك تجد الناس يقولون للغني عندما يذكر اسمه "ونعم فيك" حتى ولو كان يهوديًا ويطغى على الجمال والدين .. الزواج لأجل المال أسميه بزواج المصالح، فأنت تركض وراء مال الفتاة لا تركض ورائها فإن ذهب مالها طلقتها أو إن حصلت على مالها وأصبح كل ما تطمع به باسمك انصرفت عنها وهذه أعلى درجات الخيانة بنظري والمسألة متبادلة من الطرفين فليس فقط الرجل يطمع بمال المرأة ولكن المرأة أيضا تطمع في مال الرجل نسمي هذا الفعل بقولنا باللغة العاميَّة السورية "داخل على طمع" .. أي متزوج لطمعه

---

[٢] رواه البخاري ومسلم

بمال، أسأل الله أن يفضحهم واحدًا واحدًا ويجعل كيدهم في نحـــــــرهم وتــــــــدبيرهم تـــــــــدميرًا لهــــــــم.

ومن ثم ذكر الحَسَب فمن لا مال له تفاخر بحسبه فحتى لو كان فقيرًا يقولون ولكنَّه ابْن فُلان وهذه عائلة أو قبيلة عريقة أو منسوبة فيقول الجميع ونعم منه ومن عائلته أو يقولون عائلة أكابر فأقول الله أكبر من كل كبير وقد رزقني الله كرهه التفاخر بالأنساب فلا أستلطف من يتفاخر بحسبه ونسبه أو بحسب ونسب زوجته ناهيك أن كل من لا حسب له أصبح ذا حسب في هذه الأيام ونصف العائلات العربية تنسب نفسها للرسول صلى الله عليه وسلم وأولئك أقول ما قاله عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري: قال : (يا معشر قريش ، أو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، سليني ما شئت من مــــــالي ، لا أغنــــــي عنــــــك مــــــن الله شــــــيئا) .

ثم جاء في الحديث بعد الحسب الجمال الذي يسهل إيجاده والكثير بدا واعيًا وحذرا من الجمال الخارجي لأنه ليس كل شيء فكما نقول بالعاميَّة "من برا رخام ومن جوا سخام [٣]" أي من الخارج جميل يلمع كالرخام ولكنه من الداخل أسود

---

[٣] كالسواد الذي يصدر من المداخن

وعلى كل حال لا أعتقد أن هناك رجل واحد يكره أن يكون لديه زوجة جميلة يُكَحِّل عينيه بمرآها ويزيل عن كاهله عناء ومشقة اليوم كله بمجرد رؤية ابتسامتها وسماع تحيتها الرقيقة.

أخيرا جاء الدين وكذلك ترتيب أهميته في زماننا هذا .. فقلة هم الشباب الذين يهتمون في أن تكون زوجتهم متدينة وتستغرب أن بعضهم ليس لديه أي مانعٍ إن كانت زوجته غير محجبة، وأنا بهذا لا أرمي غير المتحجبات بالسفور ولكن المتدينة التي عناها الرسول صلى الله عليه وسلم قد تعدت مسألة الحجاب وأصبح أمر الحجاب مسلمًا عندها .. جاء ترتيبه بآخر الحديث وبنفس الوقت جاء الوعيد بمن أهْمله بقوله صلى الله عليه وسلم " فاظفر بذات الدين تربت يداك" والظفر باللغة هو الفوز وبعامة الكلام أي قم بالبحث عنها و الزواج منها، أما تربت يداك فكان يقول العرب تَرِب الرجل وتعني أن الرجل أصبح فقيرًا و ليس في هذا دعاء على من لم يتزوج من المتدينة كما يظن البعض ولكن معظم من شرحوا الحديث قالوا أنه قال ذلك صلى الله عليه وسلم ليَحُثَّ على الزَّواج من المتدينة، ويقول بعض السَّخيفين أني لا أريد أن أعيش في الكهف يقصد في حال تزوج من متدينة .. بصراحة لا أريد أن أضيع وقتي في مجادلة هذه النوعية من ضعاف القلوب التي اتبعت هواها ونست وصايا نبيِّها ولكن يمكنني أن أطلب منهم أن يبحثوا بأنفسهم بين أقاربهم أو أصدقائهم من منهم تزوج من متدينة وكيف يعيش حياته

الزوجية معها وبعد ذلك فليقرروا بأنفسهم مَن مِنَ النساء أحق بالزواج من غيرها، على أقل تقدير ستمنعك عن أكل الحرام الذي بات أكله أمرا عاديًا جدًا

أتذكر تلك القصة باستمرار لفتاة تقول: يا أبت إني لا أحل لك ولا أقبل لك أن تُطعمني من حرام. فقال: يا بنيتي، أرأيت إن لم أجد إلا حراماً؟ فقالت: يا أبت.. أقدر على الجوع في الدنيا ولا أقدر على النار في الآخرة. وزوجة صحابي هي الأخرى كانت تقول لزوجها كل يوم عند خروجه إلى العمل: "اتق الله في وفي عيالك، فإنَّا نَصبُر على الجوع ولا نصبُر على النار" .. كم هي قصص معبرة وكم أنا في شوق لسماع مثل هذه الكلمات من فم زوجتي ..

قد لا أستطيع أن أنكر أن الدافع الأول للزواج بين معشر الشباب هو الجنس ولكن يطلقون على السبب أسماء أخرى كالعفاف والسترة ولكن هذا لا يعني أن الرجل يتزوج فقط لأجل الجنس وإنما هو أحد الأسباب وإن العملية الجنسية الحاصلة بين الرجل والمرأة ليست عملية إشباع للغرائز أو الشهوات فحسب أو لإنجاب الأطفال والمحافظة على النسل بل هي أوسع من ذلك بكثير، حتى فرويد ذاك العالم اليهودي كانت نظرته ضيقة فيما يخص الحب والجنس حيث أنه يرى أن الجنس غاية والحب وسيلة للوصول إليه وكل هذه الأشعار والرسائل والكلمات الجميلة التي يطلقها الذكر ما هي إلا وسائل للوصول للجنس وهو يرى أن الحب وهم لا

وجود له ، ولكني أرى عكس ذلك تماما، أرى أن الحب غاية يسعى إليها كل ذكر وأنثى ليحقق الفطرة الربانية أن جعلنا أزواجا على هذه الأرض منذ أن بدأ الخلق فيها ومن ثم أرى أن الجنس وسيلة للتعبير عن هذا الحب فإن كان الزَّواج وسيلة لأجل الجِنس فقط بحسب نظرة فرويد فهذا يعني أن الرجل سيطلّق زوجته بعد شهرين لأنه سيشعر بالملل منها ومن وجهها ومن جسدها وسيرغب أن يُغيِّر، فيا معشر المتزوجين هل هذا صحيح؟ لا أظن ذلك وهذا ما يدفع المتزوجين إلى ممارسة الجنس حتى بعد ٣٠ سنة من زواجهم وهذا لا يدل بنظري إلا أنهم يمارسون الجنس لأجل التعبير عن حبهم لبعضهم البعض، إن الأزواج المتحابين عندما يمارسون الجنس لا تكون غايتهم إلا إرضاء الطرف الآخر بغض النظر عن إرضاء أنفسهم وهذا ما يمكنني أن أطلق عليه اسم ممارسة الحب وكلما ارتفعت درجات الصراحة بين الزوجين ارتفعت معها درجات الحب إذ لا يغادر أحدهم النشاط الجنسي حتى يتأكد أن شريكه قد أشبع شهوته وهذا شيء أمرتنا به السنة المطهرة في تعاليمها، فما ظنُّكم بشخص يقول أنه يشعر بالملل من زوجته ومن ممارسة الجنس معها!! تأكدوا أنه لا يحبها وأنه لا يمنعه من طلاقها إلا عادات أو تقاليد أو وجود أولاد عندهم، يتطرق ابن حزم إلى هذه القضية حينما يقول: إن النفس إذا ميزت في المحبوب شطرها الذي تبحث عنه ثبتت فيه، أما إذا لم تميز فيه هذا الشطر فإن حبها لا يتجاوز الصورة الجسدية وهو حينئذ يكون حب لذة ومتاع، وهو ليس الحب السامي

المصفى الذي تجد فيه النفس كمالها المنشود وإنما هو الحب الجسدي الذي تنقاد فيه لداع غامض يصدر عن غرائزها. انتهـــــى كلامــــــه .

مَنْ مِنَ الشباب لا يتمنَّى أن يلتقي بفتاة أحلامه ليشاطرها حياته بكل تفاصيلها، بنهارها وليلها، بحلوها ومُرِّها ولينجب منها ولدًا يكن له فخر وسند عند الكِبَر ومنْ مِن الفتيات لا تتمنى أن تلتقي بفارس أحلامها الذي سيضمها ويحنو عليها ويمسح دمعها ويحميها من هبة الريح .. ومَن مِنَّا لا يود أن يودعه أحد وهو متوجه إلى عمله بقبلة وابتسامة وكلمة حلوة ويستقبله بمثلها لينسيه عناء وجهد اليوم كله؟

ألا يفكر الواحد منا كل يوم بالفتاة التي ستشاركه حياته والتي ستكون له سكنناً؟ الزوج والزوجة لبعضهم بمثابة البطَّانية التي يلتف حولها من يشعر بالبرد فيشدُّها من كل طرف ويتعلق بها حتى ينعم ببعض الدفء .. أليست هذه الحياة التي يتمناها كل فرد؟ على الأقل كانت هذه أمنيتي منذ ست سنوات فعندما أحسست أني أعيشها وجدت نفسي أخط أجمل لحظاتها هاهنا، وأنا بذلك على الأقل لا أخترع شخصيات من نسج خيالي كما يفعل معظم الكتاب ولا أخترع القصص والمشاعر المختلقة ولا أجسد بخفية قصة معشوق سري ولا أود كتابة قصة حب ملحمية وهل يجب أن تكون قصص الحب ملحمية بنهايات مأساوية حتى تستميل القرَّاء؟ لماذا نقرأ الروايات الرومانسية ثم ترتفع عاطفتنا إلى أوجها

فتنتهي الرواية بمأساة فنتحطم ونصبح ممن يكرهون الحب بسبب تكرار هذا النوع من الصدمات .. بكل ثقة أكتب تجربتي الحقيقة أنا أحد أبطالها وبطلها الآخر فتاة أحلامي: زوجتي وأم أولادي التي أحبها بالحلال ومن هذا المنطلق كان اسم هذه المصفوفة الأبجدية: الحب الحلال.

بدأت بكتابة هذه الكلمات عندما بدأت برحلة الخطبة وتحديدا بعد أن استطابت نفسي إحدى الفتيات من الزيارة الأولى واستغربت بيني وبين نفسي أني كنت أحتفظ بأوراق التقويم "الروزنامة" حينما أزور هذه الفتاة وأكتب خلفها المناسبة وكأني بذلك أشعر بأن هذه الفتاة ستكون لي "من نصيبي" فأخلد هذه الذكريات الجميلة بقطفي لأوراق التقويم و جاءت فكرة أن أخلد كل هذه الذكريات الجميلة التي لا تتكرر إلا مرة في العمر وأضعها في رواية تفيدني وتفيد غيري في توجيه المسلم لعاطفته بشكل صحيح وتساعد المتزوجين على استرجاع تلك الذكريات الجميلة فيعود حبهم شاباً بعد أن شاب، ولعلها تقع في يدي بعد أربعين سنة حينما يكون رأسي امتلئ بالشيب ويكون بيتي قد امتلئ بالأولاد والأحفاد إن شاء الله فأعود لأعيش التجربة من خلال قراءتها.

للأسف لقد اختار الكثيرون طرقا ملتوية لبناء علاقة لا شك في أنها غريزيه وكانت النساء في معظم الأحيان ضحية بسبب عواطفهم وبسبب انخداعهم بوعود وكلام فارغ من

شباب إما أن الشيطان أغواهم أو أنهم لا يخافون الله ولا يخافون على أخواتهم وأمهاتهم، يا معاشر النساء كونوا على ثقة تامة بأن الشباب عندما لا يأتون إليكم من باب بيتكم أمام إخوتكم وأهلي فهم لا يريدون بكم خيرا حتى ولو ادعوا أنهم يريدون أن يعلمكم دينكم وقرآنكم، فالمحب وإن كان يعدك بالزواج وحتى لو كان صادقا بنيته عازما بخطوته فلا تتركي له مجالا إلا باب بيتك، يأتي ويطلب يدك من أهلك على سنَّة الله ورسوله.

لقد اختار الكثيرون الحب الحرام عن الحب الحلال لأنهم لم يذوقوا طعمه ولكن لعلهم لو قرءوا عنه لتعالوا عن ذلك الحب الدنيء الذي وقعوا في شراكه عدة مرات لعدة أسباب أحدها بعض المنحلّين أخلاقياً الذين يروجون لفكرة التعرُّف على الجنس الآخر بطرق غير شرعية بهدف اكتساب الخبرات كما يدعي أصحاب تلك الحملات الخبيثة ويروِّجُون أيضا إلى أن أولئك المُنْطوون على أنفسهم والذين يبتغون العفاف بالطرق الشرعية سيفشلون فشلا ذريعتا بسبب عدم معرفتهم بطبيعة وفسيولوجية الجنس الآخر وهذا كله كلام باطل وفارغ، فكيف لأبونا آدم أن يتآلف مع حواء ويكونا معا سببا من أسباب وجود هذه البشرية جمعاء دون أن يكون لأي منهم أيَّ تجارب سابقة و ماذا ترك أصحاب الخبرة الآثمون الذين يجاهرون بأنهم زنوا عشرات المرات قبل الزواج مدعين أنهم يحاولون اكتساب الخبرة .. ماذا تركوا من الذكريات الجميلة حينما يحاول كل طرف إرضاء

الآخر دون أن يدري كيف؟ فيرتبك ويتلعثم ويطرب ويخجل ومن ثم ينكسر الخجل فيخبر شريكه أن افعل كذا ولا تفعل كذا وهكذا تؤلمني و هكذا تزعجني ويحتاج كل منهم إلى وقت الله أعلم به حتى يفهم كل منهم جسد الآخر وينجح في جعله يستمتع و أخيرا ينجح في أن يستمتع كلاهما ويصلان إلى ذروة الاستمتاع ببعضهم البعض بالحلال.

بالنسبة لي لم أخض تجربة حب من طرفين في حياتي ولم يرزق الله أبي وأمي بفتاة لأرى كيفية التعامل مع الجنس اللطيف ومع ذلك فأنا مقتنع كامل القناعة أن الله سيوفقني ويوفق كل من وضع الحلال نُصب عينيه ليفهم الجنس الآخر بسهولة وبوقت أقل وأولئك الذي يظنون أن العلاقات تجارب أقول لهم أن لكل إنسان شخصيته وطبائعه الخاصة فإن بنيت بعض الطرق للتعامل مع المرأة من خلال علاقة غير شرعية فليس بالضرورة أن تنطبق أساليبك مع امرأة ثانية و ثالثة وها نحن الأخوة نعيش في بيت واحد مع نفس الأهل ونأكل نفس الطعام ونحصل على نفس القدر من التربية وكل منا له بصماته الخاصة وكل منا يتم التعامل معه بطرق خاصة.

بالنهاية لك الخيار إما أن تضع بصمتك في دائرة الأحوال لكي تستلم هويتك المدنية أو أن تضع بصمتك في قسم الشرطة بسبب سرقتك لحلال غيرك!! (حلال أو حرام) ولا يوجد منطقة رمادية بينهم.

الفصل الرابع: الخطوة الأولى



كثير من أصدقائي ينبذ الزواج التقليدي وهو للتوضيح أن يبحث أهل الشاب وتحديدا أمه إن كانت حية ترزق عن المرأة الجيدة التي تناسب مع طبائع و أخلاق ابنها ثم يذهبوا لخطبتها له، ويتبجح الكثيرون بأن الأهل لا يعرفون ماذا يريد أبناءهم قائلين أننا نختلف مع أهلنا في كثير من الأمور فكيف سنتفق في اختيار شريك الحياة متناسين أن الاختلاف سُنَّة كونية ومطالبين بأنهم يريدون أن يتعرفوا على الفتاة و يُحِبُّوها ويعرفوها جيدا ومن ثم يتزوجوها، وأنا لا أرمي أصحاب هذا المذهب على أنهم فُجَّار ولكني أحذر من المخاطر التي قد تنجم عن إيجاد الزوجة المستقبلية بشكل شخصي والتعرف عليها والتحدث لها من دون أن يكون هناك أي رابط شرعي بينهم، وأبسط تلك المصائب التي قد تحدث هي أن يواجه أحد العروسان الرَّفض من أهلهم على عقد الزواج لسبب من الأسباب وهاهنا تجد الكثيرون قد قدموا قلبهم النازف قربانًا للشيطان الذي أشبعهم وسوسةً قبل أن يقعوا في شِراك الحب المزيّف، وللأسف لا يستوعب الأغلبية هذا إلا بعد أن يُلدغوا لدغة شبه قاتلة ترد لهم وعيهم أو تجعلهم يقعوا في دوامة من هذه العلاقات الغوغائية اللامنتهية وقد نصحت أصدقائي كثيرا ولكن لم يستمع لي

أحــــــد، تمامـــــا كمـــــا يقــــول الشـــــاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا   ولكن لا حياة لمن تنادي

لقد كانت أمك تفهمك منذ أن كنت طفلا رضيع لا تعرف أن تعبر عن أي شيء إلا بالبكاء، كانت أمك في ذلك الوقت ولا زالت لا تتمنى لك إلا كل الخير فهل تعتقد بأنها ستختار لك الفتاة التي تجلب لك الشقاء ؟! بالطبع لا، إن جلست في يوم ما في نقاش ودي بينك وبين والدتك وسألتها عن الجوانب التي تركز عليها عندما ترى فتاة ما، ستجد أن أفقك ضيق جدا وأن تفكيرك كان محصورا في أشياء معينة فقط وكل ذلـك لفـارق الخبـرات والعمـر بينـك وبـين والـدتك.

كان قراري أن أتزوج على الطريقة التقليدية منذ أن جاءت فكرة الزواج إلى خاطري، وفعلا هذا ما حدث بعد ٦ سنوات من عقد النية على الزواج بعد رفض أهلي في المرة الأولى وحتى اللحظة هذه أنا لست مقتنع البتة في رفضهم لطلبي في ذلك العمر، وإن رزقني الله بالعمر والولد وسألني ابني أن أزُوِّجَه في نفس العمر الذي تمنيت أن أتزوج به ووجدته رجلاً يتحمَّل مسئولية فتح بيت لِزَوجَتِهِ لَزَوَّجْتُهُ ليبدل الحرام بالحلال مع التوضيح أن الاستطاعة التي جاءت في الحديث الشريف برواية عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة فليتزوج . فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم . فإنه له وجاء " ليست مادية

بنظري فحسب، بل يجب أن تكون نفسية الشاب مهيأة لهذه المسؤولية الكبيرة فغدًا سيصبح مسئولاً عن زوجة يجب عليه أن يَكسِها ويُطعمها ويبادلها الحب والمشاعر ويصون عرضها ويحميها من كل شر ..

تذكرت صديقا لي كان على سيتزوج قريبا ذهبت وإياه إلى المكتبة ليشتري لخطيبته بعض الكتب وعندما وصلنا إلى قسم كتب الزواج قال بأيها تنصحني وكنت قد قرأت اثنان منهم فنصحته بهم فقال لي هل يوجد كتاب يوضح حقوق الزوج فقط ولا يوضح حقوق الزوجة، فهمت مقصده وقلت له ما هذه الازدواجية هل تريدها أن تلبي حقوقك ولا تريد أن تلبي حقوقها وانتهى قراره أن يأخذ الكتاب الذي يحوي حقـــــــــوق الــــــــــزوج والزوجـــــــــــة.

المُسْتزوج: كان لقبا يطلقه بعض أصحابي علّي عندما كنا في صفوف الدراسة بالجامعة لأن الزَّواج كان الموضوعَ الرئيس من ضمن المواضيع التي تطرح على مجالس حواراتنا وكانوا ينتبهون علّي كيف أتهلل حينما يذكر أحد من الشباب هذا الموضوع فأطلقوا علي هذا الاسم ووصل بهم الأمر في بعض الأحيان أن يترجوني أن لا أفتحه مجددا لكثرة ما سمعوه مني لدرجة الملل وأصبحت أنا الآخر ألتف حول نهمي بالموضوع قائلا لهم: بأني لا أفتح هذا الموضوع إلا كي أحمسكم لكي تدخلوا معترك الحياة بسرعة أكبر وتبدؤوا بالتجهيز لتلك الحياة الجميلة مع الزوجة الصالحة.

حينما كنت أخبئ أوراق التقويم التي قطفتها في كل مناسبة أذهب بها إلى زوجتي أحببت أن أحنط ذكراها في ملف صغير يعلوه الغبار، اعتدت أن أخبئ بها بعض المذكرات والذكريات فوقعت في يدي خاطرة يتيمة أصفرت جوانبها وتشققت من العمر الذي أمضته في هذا الملف وهذه الخاطرة تجسد جزءًا من لقب المستزوج وكانت بعنوان:

"مجرد حلم"

في ليلة سوداء، من ليالي الشتاء.. الوقت متأخرا ويفترض بأني نائم، هل أنا بحلم أم في وهم؟ أبقى مع حلمي وحيدا أفكر وأنا أحد أبطاله، أتمنى أن تقترب تلك اللحظات، لحظات تحقيق حلم أخذ من تفكيري سنوات، آلاف من الكلمات للتعبير عن مقدمات بدأت ببعضها و انتهيت، والأخرى أكتب بها في هذه اللحظات وبعضها الآخر ما زال على رفوف عقلي كالمعاملات .. تتدافع عبراتي ولا أريد البَوح بها لأحد، أتصارع مع الزمن مع نفسي مع قلبي .. فقط لأجد شخصا يشاركني نفس الحلم.. لأشاركه بقية حياتي .
تحدثت بحلمي للكثير بدون أن أقول لهم أنه حلمي الأهم، لألقى ردودًا فاجأتني!
حتى هذه اللحظة لم أجد أحدًا من جنسي يشاركني نفس الحلم ولكني أعتقد بأن هناك أحدًا من الجنس الآخر يشاركني إياه وهو مجرد حلم.

كل شخص بهذه الحياة يملك بصمة تميزه عن غيره ولكن قد يولـــد اثنـــان بـــنفس الحلـــم.
الوقـــت يمضـــي بســـرعة مخيفـــة.
أحاول أن أنهي باقي المقدمات لأبدأ بكتابة حُلمٍ يتحقّق في عـــدة كتيبـــات
أخاف من النهايات ولست أنا من سيكتبها !! سيكتبها .. إنها إحـــدى الفتيـــات.
مكسور الخاطر – الرابعة فجرا أبريل – ٢٠٠٦ "
انتهـــت الخـــاطرة"



"الورقة الأولى" قطفتها بعد أول زيارة، قراري بالاحتفاظ بالتواريخ وهذه الأوراق من التقويم لن يكون لأي حدث فحسب بل لأهم الأحداث في تاريخ حياتي الشخصي وأما الأحداث الأخرى فتدون كذكريات يحن لها المرء كأول مرة بُحت لها بالحب وأول مرة لمست يدها وأول مرة قبلتها وهكذا وللأوائل دائما تميز خاص في كل شيء تدعوا المرء لتخليـــدها فـــي كتـــاب ذكرياتـــه.
تملّكني في ذلك اليوم شعورٌ غريب من الرَّهبة وكأني أريد

أن ألقي خِطاباً على جمع غفير من النـاس، ويومهـا وقبـل أن نطـرق بـاب بيـتهم بـدأت بقـراءة المعـوذات وآيـة الكرسـي وسألت الله التّيسير وكنت قد استخرت قبل هذه الزيارة ثلاثة مرات في أمل أن يكتب الله لي الخير ..

دخلـت لأجـد الأب يسـتقبلني ولا أدري لمـاذا قبلتـه وكـأني أعرفه من قبل ودخلنـا إلـى الصـالة وأخذنا بتبـادل الأحاديث عن حيـاتي وعملـي ودراسـتي ونشـاطاتي حتـى دخلـت علينـا زوجتي تقى تحمل بين يديها النـاعمتين فنجـاني قهوة تركيـة لتضيفنا إياهم ولكنها فاجأتني إذا لم أشعر بدخولها ولم أشعر بهـا إلا بجـانبي واقفـة تقـول لـي تفضـل، لأنـي كنـت أنـوي الوقوف كي أرى طولها فلم يتسنى لي بعد أن رأيتهـا بجـانبي فأخـذت الفنجـان وقلـت كمـا يقـول السـوريون بالعاميَّـة: (الله يسلموا هالأيدين) تعبيرا عن شكري وامتنـاني.

ولشـرب القهـوة مـدلولات غريبـة عنـدنا فـإن تـرك الرجـل الفنجان ولم يشرب منـه شيئا فهذا يعنـي أن الفتـاة لـم تعجبـه، وإن شربه لآخره فهذا يعنـي أن هنـاك شيئا مـا خـاطئ، قـالوا أنــه يجـب أن يشــرب جزئــا منــه، ولكنــي لا أؤمــن بهــذه الخزعبلات وأحب أن أكسر كل الأعراف التـي لـم ينـزل الله بها من سلطان و التي لا تمد للدين بصله وأنا متأكد بـأني لـم أنجـح فـي كسرها كلهـا ولكنـي علـى الأقـل قـد أصـنع تيـارا معاكسا يحارب العـادات والتقاليـد الرتيبـة والمملـة ومـا فعلتـه أنــي لـم أقصـر فــي شـرب الفنجـان حتـى آخـر قطـرة فيـه.

تذكرت في هذه اللحظات قوله صلى الله عليه وسلم :(من ترك شيئا لله ، عوضه الله خيرا منه) [٤]، وكأني بمرآها نسيت كل ألم الحب الوهمي الأول وكأن همّا بحجم جبل قاسيون انزاح عن قلبي، لقد تركت الطرق العوجاء في بناء علاقاتي مع الجنس الآخر فوهبني الله بمن تقتل استوحاشي وتؤنسني فالحمد لله على هذه الهبة.

جلست تقى مواجهة لي على بعد مترين تقريبا فأخذت روحي تحلق في خَلقها البديع وكنت أنظر بحدود الشرع إلى ما يدعيني إلى نكاحها ووقعت في قلبي من الدقائق الأولى وأيضا شعرت بأني أعرفها من قبل وإن صح القول إن أرواحنا تآلفت ولا أدري في تلك اللحظات إن كانت تبادلني نفس الشعور أم لا!!

في بداية الأمر ارتبكت لأني في زياراتي الماضية بهدف الخطوبة كنت قد تعودت وكانت يغلب على عادتنا في دمشق أن تجلس الأم وأمي والفتاة في المجلس، ولكن هذه المرة جلست مع الأب وكانت الأمهات في الداخل!! كان الشعور غريبا وقلت لهم أني مرتبك قليلا بسبب انكسار العادة ولكن هذه الرهبة ذهبت بسرعة وكنت بنفس الوقت مسرورًا لكون النساء في مجلس والرجال في مجلس آخر. بدأت أسألها عن حالها وعن مدرستها وعن هِواياتها وعن طموحها بعد إنهاء المرحلة الثانوية وعن رؤيتها للزواج

[٤] صحيح الإسناد بحكم المحدث ناصر الدين الألباني

وعن نقاط ضعفها وقوتها وكانت حماها الله تخجل من كل سؤال ويساعدها والدها أحيانا بالإجابة وكانت الأسئلة ثقيلة عليها حتى بادلني والدها بمزحة يقول لي فيها تكاد تخرج لنا استبيانا وتقوم بمقابلة معها "لأني أعمل باحثا تسويقيا في إحدى شركات الأبحاث" وتعالت الضحكات في هذه اللحظة، وأذكر أن عمي سألني سؤالا مهماً يحاول دسَّ النَّبض من خلاله لكي يعرف إن كنت عاقداً على الزواج لأجل تجربته فقط أم أني أعرف فعلا ما هو الزواج و تبعاته ومسؤولياته فقال لي ببساطة كيف ترى الزواج؟ فقلت له: أني أرى الزواج كشركة يقوم على إدارتها اثنان فقط ليس لديهم أي موظفين وبين هذان الاثنان حبل يشده أحدهم والآخر يرخيه ومن ثم يشده الذي كان يرخيه فيرخيه الذي كان يشده وبعد فترة تكبر هذه الشركة ويرزقهم الله بموظفين (أطفال) وهنا تتسع المسئوليات وتتوزع المهام وتكبر هذه الشركة وتنجح بالحب والتفاهم والتفهم، وأعتقد هذه الرؤيا أعجبتهم. بالنسبة لتجهيز الأسئلة وأخذ النصح عما يجب أن يحدث في هذه الزيارة فهذه نصيحة لكم معشر الشباب .. لا تحضِّروا شيئا من الأسئلة أو الحوارات لأنكم بمجرد جلوسكم أمام الفتاة سيطير كل شيء من رؤوسكم، اتركوها على التيسر وقد حدث هذا لي شخصيا في أحد تجارب خطبتي حيث أني نسيت كل الأسئلة التي كنت قد هيئتها لأسألها للفتاة وأضعت وقتي في محاولة تذكر تلك الأسئلة، وخذوا المشورة فيما لا يجب أن يقال في الجلسة الأولى فمن غير اللائق مثلا أن تقول للفتاة من الجلسة الأولى: اسمعي يا فتاة أنا أحب النقاب

فإن كنت لا تضعيه فيجب عليك أن تضعيه .. ستنفر الفتاة منك لأنك أولا غريب أتيت تأمرها من أول زيارة وبكل بساطة ستقول لأهلها لا أريده فأبي لم يأمرني بهذه الطريقة. وهنا أتذكر قول القدماء أن اللقاء بين الشاب والفتاة كالكيمياء فبمجرد رؤيتك لها قد تتفاعل كيمياء جسدك وكيمياء جسدها فإما أن تكون نتيجة الالتقاء انسجام أو تنافر، كالأقطاب المغناطيسية فمن المستحيل أن ينجذب القطبين السالبين أو الموجبين لبعضهم.
بنهاية الزيارة تجد نفسك تقول: لم تدخل الفتاة إلى قلبي أو تجد نفسك تقول لقد أعجبتني كثيرا وفي بعض الأحيان يتردد الشخص فيطلب رؤيتها مرة أخرى ولهذا أحل الشرع أكثر من زيارة وفي السنة النبوية أن يطلب رؤيتها بحدود الشرع حتى يجده ما يدعوه إلى نكاحها من خُلقٍ أو خَلقْ.

والحمد لله خرجت من بيتهم لا تفارق مهجتي الابتسامة وقالت لي أمي ونحن في طريقنا للمنزل: بشِّر ؟ فقلت لها: أمي قلبي منشرح لها ولأهلها.
فقالت لي أمي: دعنا نرى ما رأيهم و أسأل الله أن يتمم لك على خير؟ وفي اليوم الذي يليه مباشرة جئت لأمي مُكِرٍّ مُفِرٍّ في غاية الحماس وسألتها هل تحدثت مع أهلها؟ فقالت لي: صبراً يا أمي .. بالعادة يتصل الشخص بعد أسبوع، فقلت لها تبا للعادة كم تأسرنا، أرجوا أن تكلميها غدا ووافقني والدي الرأي بعد أن أخذنا برأيه وكلمتها أمي في اليوم التالي وكان الرد إيجابياً إذ أنّ الفتاةَ ارتاحت لي أيضا وانشرح

صدرها وطلب الأهل مهلة لكي يسألوا عني بين معارفهم ومعارفي، وهكذا تجري عادة معظم العرب في السؤال عن العريس وكذلك أهل العريس يسألون عن العروس أم من لا يكلف نفسه عناء السؤال ويكتفي باسم العائلة أو المظاهر فيا حسرته إن تبين له بعد عقد النكاح عكس ما كان يتخيله أو يظنه، بعد فترة أسبوع تقريبا عادوا لنا بالأخبار السَّارة .. لقد سألنا عن ابنكم ولم نسمع عنه إلا كل خير، وسألونا إن كنا نريد أن نراها مرة أخرى قبل مجيء والدي من السفر، فقلت لأمي: لقد أعجبتني من المرة الأولى ولا أرى من داع لرؤيتها مرة ثانية، فلننتظر والدي لكي نذهب إليهم ونقرأ الفاتحة.



الخطبة هي مرحلة تُخَوِّل الرجل بأن ينظر لمن يريد أن يخطبها ضمن حدود شَرعيَّة معيَّنة ليلتمس فيها بعض الجوانبِ ليقرر هل يمضي بقية حياته معَها أم لا؟

وهنا أنقُل جملةً من مقال لصديقي المفكر عزَّام حدبا يقول فيها: "إن التجاذب بين الأضداد قانون فيزيائي، مثل المغنطيس، حيث نجد أنفسنا منجذبين إلى

أضـــدادنا. فكيــف نشــعر برجولتنـــا إذا لــم نشــعر بأنوثـــة الحبيبــة؟ وكيـف تشـعر اليـد بالـدفء إن لـم تكـن بـاردة؟ وكيـف نشـعر بالرقـة إن لـم نكـن خشـنين.. انتهـى كلامـه.
الورقـة الثانيـة مـن "التقـويم" والتـي احتفظـت بهـا، حينمـا ذهبـت إلــيهم بصــحبة أمــي ووالــدي بقصــد أن يتعــرف والـدي علـيهم وبنيَّـة قـراءة الفاتحـة، وقـراءة الفاتحـة تعنـي أن الشــخص يعلــن قبــول تخطيــب ابنتــه علــى المتقــدم لهــا مسـتفتحاً بفاتحـة الكِتـاب وعلـى نيَّـة التَّوفيـق تُقـرأ الفاتحـة كعلامـــة قبـــولٍ أوَّليـــة، ومـــن ثـــم لاحقـــاً يـــتم الاهْتمـــام بالأشـياء الأخـرى كتلبـيس الخـواتم "التـــي لا مكــان لهــا فـــي الشـــرع الإســـلامي وإنمـــا هـــي فقـــط عـــادة متوارثـــة" والتحـــدث بـــالمهر و عقـــد الكتـــاب الشـــرعي .. إلـــخ.
الخطبــة أيـــام ورديَّـــة يعيشـــها كـــل مـــن الطـــرفين بحـــسٍ مُرْهَـف يَنسِـجُ كـلٌّ مِنهمـا أحلامـاً بخيـوط الأمـل الرقيقـة ليصــنعوا ثوبــا يرفــرف مــن أدنـــى نســمة لا يَلبــث كثيــراً فيتمــــزق أثنــــاء مجابهــــة ريــــاح الواقــــع القويــــة.
وصــل والــدي مــن الســفر عشــية يــوم الاثنــين الماضــي وذهبـت لأخـذه مـن المطـار وكُنـت أمـازح أمـي أن يـا أمـي لمــا لا نــذهب مــن المطــار إلــيهم مباشــرةً لقــراءة الفاتحــة، وأمــي تقــول لــي: استحــي وتقــول بالعاميــة " لاحِـقْ" أي لا تتعجـــــل فغـــــدا تحظـــــى بمـــــا تـــــروم إليـــــه.

خططـت مـع الوالـد ونسـقت معهـم كـي نـزورهم ليلـة الخمـيس القـادم، وجـاء يـوم الخمـيس بسـرعة .. اسـتقبلنا الأب والأم وقبَّلـت الأب بحـرارة بعـد أن منحنـي شـرف المجـيء للمـرَّة الثانيـة، دخلنـا الصـالة وبـدأنا نتبـادل أطـراف الحـديث وكـان جُـلَّ الحـديث قـد دار بـين أبـي وأبوهـا لأنهـم كـانوا يتعـارفوا علـى بعضـهم للمـرَّة الأولـى، دخلـت الفتـاة تضـيفنا عصـير البرتقـال عيناهـا تـلازم الأرض فـأخجلني خجلهـا أن أطيـل النظـر بهـا لأضـع عيـاني أنـا الآخـر بـالأرض، حاولـت أن أتحـدث معهـا ولكـن لسـاني انعقـد وبعـد انكسـار الحـاجز تحـدثنا عـن دراسـتها ولمـاذا اختـارت القسـم الأدبـي لأكتشـف منهـا ضـعفها فـي مـادة الرياضـيات ليكـون هـذا الـرابط المشـترك الأول بيننـا وتحـدثنا عـن أسـباب فشـلنا فـي هـذه المـادة وذكـرت لهـا أن هنـاك أسـتاذا فـي المرحلـة الابتدائيـة كـان يحملنـي مـن أذانـي لأنـي لـم أتقـن جـدول الضـرب وهـداه الله فأنـا حتـى الآن أواجـه مشـاكلاً بجـدول الضـرب وقـد رسـبت فـي مـادة التفاضـل والتكامـل فـي جـامعتي أربعـة مـرات، ومـن ثـم أخـذنا بتبـادل بعـض القصـص والنظـرات والابتسـامات.

أومـأ أبـي بإشـارة لـي كـان قـد اتفـق فيمـا بينـي وبينـه أن يقـوم بهـا ليسـألني مـن خلالهـا إن كنـت متيقنـا أم لا مـن طلبنـا ليـد الفتـاة فأومـأت لـه بـأخرى أنـي متـيقنٌ جـداً، فبـدأ بارتبـاك يطـرح بعـض الكلمـات التـي تعنـي بمختصـرها

أننـا نـود أن نطلـب يـد ابنـتكم لابننـا ومعـذور علـى ارتباكـه فأنـا ابنــه البكـر وهـذا الـدور فــي مسلسـل السـنة الكونيـة يقـوم بــه لأول مـرة ومـن الطبيعـي أن يرتبـك مهمـا كــان مخضـرما فـي أدوار الحيـاة الأخـرى، فـي هـذه اللحظــات ارتبكــت حواســي وارتعــدت مفاصــلي وتجمــد الــدم فــي عروقــي و احمـرت وجنتــاي ودمعــت عينــاي وكــأني أنــا الفتـاة، حـدث معهـا نفس الشـيء إن لـم يكـن أكثـر، واكتفـى والــد الفتــاة بجملــة ملئــت قلبــي فرحــا وســرورا .. قــال : نحـن لنــا الشـرف، وهنــا ارتسـمت علـى وجهـي ابتسـامة كــادت أن تصــل إلــى أذنــاي، حاولــت أمــي أن تعــرف مقـاس إصـبع الفتـاة بـأن طلبـت منهـا أن تعطيهـا خاتمهـا وخيرتهــا هــل تريــدين الــذهاب مــع خطيبــك لاختيــار الخــاتم فلـم تـرد خجـلاً فخلعـت أمـي خاتمهـا وقالـت لهـا ضــعيه فـــي إصـــبعك لنـــرى مـــا إذا كـــان مناســـباً أم لا، ولمحاسـن الصُّـدف كـان حجـم إصـبع أمـي مسـاوٍ لحجـمِ إصـبعها .. ولكـن وبعـد فتـرة نصـحني أحـد الأصـدقاء بـأن أجعلهـا تـذهب معـي لاختيـاره رغـم أنـي بشـكل أو بـآخر أؤمـــن أن أذواقنـــا لـــن تختلـــف لأنـــي اخترتهـــا أولا واختــارتني فهنالــك تشــابه إلــى حــد التطــابق بــين ذوقــي وذوقهـــــــــا بشـــــــــــكل أو بـــــــــــــآخر.

نعـود لتلـك الليلـة التـي أردنـا أن نقـرأ بهـا الفاتحـة دخلنـا دارهـم فـي السـاعة التاسـعة والنصـف ولـم نخـرج حتـى الواحـدة مسـاءاً إذ أخـذتنا الأحاديـث حتـى نسـينا أن نقـرأ الفاتحـة ولعلنـا نقرأهـا يـوم تلبـيس الخـواتم وكـان الحـدث الأهـم فـي ذلـك اليـوم أننـي قبـل مغادرتنـا طلبـت رقـم هـاتف الفتـاة بعـد أذن الأب وتحـدثنا فـي ذلـك اليـوم علـى الانترنـت وتبادلنـا الرسـائل النصـية وبقـا كـل منـا سـهرانا حتـــــــــــــــــى آذان الفجـــــــــــــــــــر.

كـــان أجمـــل تفاعـــل بالرســـائل النصـــية القصـــيرة التـــي دارت بيننـــــــــــــــــا حينهـــــــــــــــــا:
قالـــت لـــي: لا أدري لمـــاذا لا أســـتطيع أن أســـتوعب مـــا الـــذي يجـــري و مالـــذي ســـيجري .. أحـــس أنـــي فـــي حلـــم.
فقلـــت: حلـــم جميـــل، أتمنـــى أن أبقـــى نائمـــا للأبـــد لأنـــي وجـــــــدت مـــــــن يســـــــتحق أن أحلـــــــم بـــــــه.
فقالـــت: أرجـــو مـــن الله أن أكـــون عنـــد حســـن ظنـــك.
فـرددت قـائلا: وأنـا بالمثـل وأسـأل العلـي القـدير أن يجعلنـا نتبـادل خيـر مـا جبلنـا عليـه و يكفينـا شـر مـا جبلنـا عليـه، لـــم أختـــر أهلـــي ومـــع ذلـــك أحببـــتهم، فكيـــف ســـيكون شـــــــــــعوري لمـــــــــــن اختـــــــــــرت؟
فـــردت بحكمـــة مكتفيـــة بالتـــأمين علـــى الشـــطر الأول مـــن الرســـــــالة مكتفيـــــــة بـــــــ : آمـــــــين.
لقـد تبادلنـا مئـات الرسـائل النصـية لدرجـة أنـه كـل مـا رن

هـاتفي بنغمـة الرسـالة أقـول هـي فـأركض إليـه متلهفـا لأرى مـا يخبـئ لـي وكثيـرا مـا انزعجـت مـن مـزّود الاتصـالات بسـبب الرسـائل الإعلانيـة أو الشـركات التـي ترسل لـك بعـض المسـابقات وقلـت لـو أنهـم علـى علـم بمـا أنـا فيـه لمـا قـاطعوني بتلـك الرسـائل الغبيَّـة وفعـلا فغالـب البريـد الـوارد والصـادر كـان يحمـل اسـمها.

حـالي كحـال أصـدقائي الـذين تعالـت مسـتحقاتهم فـواتيرهم الشـهرية لـدى مشـغِّل الاتصـالات فقطعـوا عـنهم الخدمـة لأنهـم لـم يـدفعوا الفـواتير المسـتحقَّة فتجـد أصـدقائي يتصـلون ليترجـوا موظـف خدمـة العمـلاء كـي يفـتح لهـم الهـاتف حتـى أول الشـهر فقـط وكـم أكـره هـذه الحالـة "أن تنتظـر أول الشـهر" وهـذا يعنـي بالتأكيـد بأنـه لا يملـك المـال الكـافي حاليـا ليـتمكَّن مـن دفـع الفـاتورة فينتظـر أول الشـهر كـي يـدفع مـن مرتبـه ونفـس الأمـر والتنهـدات أسـمع مـن هـؤلاء الأصـدقاء حـين يقولـون لـو كـان مشـغِّل الاتصـالات علـى علـم بمـا نحـن فيـه الآن لمـا عكـر علينـا صـفوة عيشـنا بقطـع الاتصـال، وهـذه كلهـا ذكريـات سـتكون مضـحكة فـي المسـتقبل فلـو أصـبح لـدى كـل شـخص منـا غـداً شـركته الخاصـة فلـن يسـتقبل المحبِّيـين والعُشَّـاق بصـدرٍ رَحـب ولـن نعطـي موظفينـا العاشـقين سـاعات عَمَـلٍ أقـل وسـيكون شـعارنا لـنْ تُحـب وتَعْشَـقَ علـى حِسَـابي ..

فـي يـوم مـن الأيـام احتفظـت بـبعض الرسـائل علـى ورقـة وكـان النِّقـاش ببدايـة منـي:

قلـت لهـا: أحببـت عينيـك وابتسـامتك وأخلاقـك وخجلـك وأناملـك وطولـك ودينـك وصـوتك فهـل تبقـى غيـر أن أقـول أحبـك ؟ فـانتظريني قلـيلا حتـى أسـتأذن قلبـي.
فقالـت: أنـا أشـهد إن الغـلا والشـوق فضّـاح لا صـار مـن تغليـه بـالود يغليـك" ويبـدوا لـي بأنهـا رسـالة جـاهزة مسـبقة الإعـداد مـن شـخص مـا"
فقلـت: صـح لسـانك والله فضَّـاح وتنطـق الجـوارح والعيـون بمـا لا ينطـق بـه اللسـان.
ثـم قلـت أيضـا: ألـم أقـل لكـي بـالأمس أنـي عنـدما رأيتـك أول مـرة أحسسـت وكـأني أعرفـك والآن تـذكرت أنـه بنصـف كـل شـهر نـورك يمـلأ السـماء يـا أحلـى بـدر.
فقالـت: مـاذا أبقيـت لـي وقـد أخـذت كـل مـا فـي الكـلام مـن حـلاوة.
فقلـت: النكهـات كثيـرة فـلا تحزنـي وانثـري الأحاسـيس حروفـا علـى فـؤادي الولهـان ومسـمعي.
فقالـت: بحثـت وبحثـت ونثـرت الـدمع فلـم أجـد سـوى أن المحبـة المتبادلـة هـي تـاج السـعادة.
فقلـت: خطيبتـي هونـا علـي هـل ذهـب الكـلام يـا ثريـا؟
فقالـت: عجـزت عـن الكـلام
فقلـت: قـد تكفـي كلمـة عـن ألـف كلمـة وهـي أجمـل كلمـة بالقـاموس كلهـا : أحبـك
ثـم قلـت بعـد أن طـال انتظـاري: هـل أثقلـت عليـك ببـوحي؟
فقالـت: لا ولـن تثقـل علـي بـأي شـيء.
ثـم قلـت: مـا أصـعب الانتظـار .. هـل ستسـري خـاطري بـبعض الأشـعار أم سـتتركني لأتسـامر مـع الأشـجار؟

فقالت: إن لم يكن قلبي قد أحبك فأنا في الله قد أحببتك فكيف بالاثنين معا والله أكبر شاهد على أني أحبك.
فختمت بطمع أقول: بعد فترة اسمحي لي أن أسمعها من فمك؟ في ذلك اليوم لم أنم إلا بعد صلاة الفجر وفي اليوم الذي تلاه استيقظت في الساعة الثانية فجراً وهرب النوم من النافذة ولم يعد وأنا أفكر وأتقلب على الفراش وكأن كيمياء جسدي قد اضطربت من هذه التغيرات التي ستطرأ على حياتي ولا أدري متى ستتزن كيمياء جسدي من جديد ليعود لي نومي بعد أن هرب، ويبدوا أني سأنسى النوم حتى أكون أن وهي في بيت واحد يملئه الحب والحنان وهنا يمكن لكيمياء الجسدين أن تندمج لتصبح واحدة ويجد الضلع الذي خلقت منه حواء ضالّته حينما يضمها آدم إلى صدره، وأنا لا أتخيل في ذكري لهذا وإنما أتذكر اكتشافاً طبياً كان يَنُصُّ على أن المتزوجين ترتفع لديهم المناعة ضد الأمراض ويتشاركوا في كثير من الأشياء منها الذاكرة وقد تندهش عندما تجد أن شريكك قد استبق فعل ما تريده قبل أن تطلبه أو سبقك في نطق ما كنت تريد نطقه كما لو انه يقرأ أفكارك وعيونك وما هذا إلا من الاندماج وكأنها روحا واحدة اندمجت في جسدين، ربما توارثنا هذا التخيل من الفلاسفة اليونانيين حينما قالوا أن الله خلق الأرواح على شكل كرات، ثم قسم كل روح نصفين ووضع كل نصف في جسد فإذا تلاقى الجسدان حنت أرواحهم لذلك التكوين السابق فأحبوا بعضهم وهذا ما نشعر به أو نحس به ولكن لا دليل على هذا ولم يرد في

ديننا الحنيف مثل هذه النظريات بتاتاً ولا أعرف بهذا الخصوص إلا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب . خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".[٥]

أخذ الأرق نصيبيه مني في هذه الأيام وحتى إن لم يقرر زيارتي في أحد الليالي يأتيني شيء آخر لا أعرف ما اسمه وهو الاستيقاظ المستمر فكل ساعة أو ساعة ونصف استيقظ في فراشي من دون سبب ولا يرجع النوم لي بسهولة يذكرني بجني لا أدري إن كان حقيقة أم خرافة يسمونه الجاسوم لأنه يجسم عليك فيكتم نفسك فتستيقظ فلا تستطيع التنفس ولا تستطيع الحراك ولكني لم أسمع أبدا بجني يسمونه المنبّه أو الميقظ لربما كان هذا من اضطراب كيمياء جسدي ..

مع الأيام خفت هذه الظاهرة وكان أول يوم أنام فيه دون عناء هو ما سبق يوم شراء المحابس، ففي تلك الليلة شعرت بطمأنينة لا توصف ونمت بمجرد أن وضعت رأسي على الوسادة.

---

[٥] صحيح مسلم



الفصل الخامس : الإبحار في محيط الآخر

بعد انكسار الحاجز الجليدي بين الخطيبين يحاول كل منها الإبحار في محيط الآخر فيبدأ ببناء السفينة محضرًا بَعضَ الأسئلة ومن ثم تبدأ رحلته من الخطبة حيث يرفع الشراع ليحرك الهواء السفينة ويبحر في هذا المحيط الغامض العميق ويحاول كل منهم في البداية إيجاد الأشياء المشتركة وهذا من الفطرة الإنسانية إذ تجد أن معظم الأصدقاء يشتركون بكثير من الصفات أو النشاطات إن لم تكن على الصعيد الإثني أو الديني فعلى الصعيد العملي أو على صعيد الهوايات وأتذكر المثل القائل "الطيور على أشكالها تقع" ولو لاحظتم أننا عندما نتعرف على أشخاص جدد يستمر كل طرف منّا في رمي الأسئلة حتى تقع في يد أحدهم كرة مشتركة فيتشبث بها ويحاول أن يمحص النظر في تفاصيلها وكلما كثرت الكرات المشتركة بين الشخصين زادت الألفة وزاد معهـا احتمـال لقـائهم مـن جديـد.

كانت سفني تبحر إما في بيتهم عند الزيارة أو عبر الإنترنت أو على الهاتف وكل منا يسأل الآخر أسئلة يحاول فيها معرفة ما استطاع من المعلومات التي تنير غموض الطرف الآخر المظلم وتجعله كالسِّراج المنير وشفافاً كالماء الزلال.

فـي ذاك اليـوم ضـربت لهـا مثـالين لمحاولـة كسـر الحـواجز ولمحاولـــــــــة فهـــــــم بعضــــــــنا الـــــــبعض بـالمثـال الأول قلت لهـا: أي شـيء يخطـر ببالك لا تبخلـي بـه علـي واعتبرينـي كتابـا علـى رفٍّ فـي أحـد المكتبـات تـودّين شــــرائه فمــــاذا ســــتفعلين بـــــه قبــــل أن تشــــتريه ؟!! ستقرأ الفهرس بالبدايـة لكـي تقرري مـا إذا كانـت المواضـيع مشـوِّقة أم لا ودورك معـي الآن أن تعتبرينـي كتابـاً سـتكتبين فهرسـه بيـدك   ومـن ثـم سـنكتب معـا تفاصـيل كـل عنـوان.

وقلت لها: أو لنقل أن الطبيب النفسي ومريضه يحتاجون إلى أكثر من جلسه حتـى يبدأ المريض بـالبوح بكل شـيء ويبدأ الطبيب بالتوجيـه الصـحيح فـاعتبريني مريضـا لـديكي وأنتـي طبيبتي النفسية وفـي هذه اللحظـة قـاطعتني بخجل وقالت لا بل أنت طبيبي النفسي وفي الواقع إن آدم مـريض نفسـي بـين يدي طبيبته حواء وحواء مريضة نفسيه بين يدي طبيبهـا آدم كــــــل منهمـــــــا يشــــــفي الآخـــــــر ويكمّلـــــــه. أخذ كل منا يرسم للآخر خريطة ذهنيـة إرشـادية لكـي يمشـي عليهـا بسـلام وليصـل إلـى مـا يريده بأقصـر الطـرق، ومهمـا حـاول الإنسان معرفة الآخـر فـي هذه الفتـرة القصـيرة "فتـرة الخطوبة" فلن يفلح البتة حتى لو كانت فترة الخطوبـة طويلـة لسـببين رئيسـين: السـبب الأول، وللأسـف لـيس كـل النـاس يتصـرف علـى سـجيّته فـي أيـام الخطبــة إن لـم يكـن علـى المستويات الشخصية فعلى مستويات أخرى فمثلا كنت منذ صـغري صـريح وصـادق ولكنـي كنـت لا أتصـرف علـى

طبيعتي في أيام الخطبة من ناحية الملابس مثلا إذ أصبحت أرتدي الملابس الرسمية بسبب نصيحة كثير من الناس ولكني حقيقة أحب الملابس التي تريحني أكثر من التي تجعلني أنيقا ولكن هذا لم يدم طويلا، إذا صارحتها لاحقا أني لا أحب أن أرتدي هذا اللباس الرسمي، فقالت لي: ارتدي ما شئت .. ولم أكذب خبراً وكنت أرتدي الملابس الاعتيادية في الزيارة التالية مباشرة.

وأما السبب الثاني،إن المعرفة عن بعد تختلف كثيراً عن العِشْرة وهناك الكثير من الأشخاص الذين كنا نعشقهم كأصحاب ولكن عندما عاشرناهم وشركناهم السكن وجدنا أن معشرهم مختلف جداً عن معرفتنا بهم في الخارج واكتشفنا الكثير من الطبائِع التي لم تَكن واضحة المَعَالِم حينما كنا نعرفهم خارج نطاق المَعْشَر، بناءاً على هذا فإن الزوجة أو الزوج عندما يدخلوا قفص الزوجية ولا أدري لماذا سموه كذلك سيكتشفون أضعاف أضعاف ما كانوا يعرفوه عن بعضهم في مرحلة الخطبة وعقد النكاح.

ولهذا أطلقت على هذه الرحلة، رحلة الإبحار في محيط الآخر فهي رحلة طويلة وصعبة ولا تجتازها السفن إلا إن كان قبطانها و قبطانتها حكيمين ولهذه الرحلة نهايتين لا ثالث لهما بعد أن يعانى كل منهما كثيرا في مصارعة الأمواج العالية والرياح العاتية للوصول إلى شاطئ الآخر والبقاء معه على بر الأمان حتى الفراق بالموت أو يمكن أن

تتصادم سفينته مع سفينتها بقوه فتغرق كلتا السفينتان قبل وصولهما إلى بر الأمان وأعني بالغرق فشل العلاقة الزوجية "الطلاق" أبعده الله عنّا ..

بعد أن يكتشف كل من الاثنين خبايا الطرف الآخر وأسراره ونمط معيشته وما يحب وما يكره، يقرر كل منهما الصعود إلى سفينة الآخر بعد أن يجمعهما الزواج، فيضم كل منهم خبرته إلى خبرة الآخر ويُقرِّروا أن يُبحروا سَويةً شاقّين برحلتهم درب الحياة كما شقّها قبلهم آبائهم وأجدادهم كسُنّة من سُنن الحياة في محيط الدنيا الغامض ينير طريقهم نور الحب الذي بينهم ويثبت أقدامهم حسن ظنّهم بالله.

سيجد كل شخص منهم بعد بداية الرحلة تلقائيًا أنه بدأ يحب ما يحبه خليله ويكره ما يكرهه سيجدوا أن أسطولهم بدأ يكبر يوما بعد يوم حينما اختار الرجل بعض السفن لتبحر معه ليجد أن سفنناً أخرى قد أقبلت من طريق زوجته للأسطول ومن هنا تجد أن كل منهم بدأ يتقبل الآخر فيفتح قلبه لأشخاص جدد لا يعرفهم (أعني أقارب زوجته) وربما كان مكتفيًا بمعارفه قبل ارتباطه بهذه المرأة ولكن وبسبب سُنَّة هذه العلاقة التي يتربع على عرشها وجوب المشاركة في كل شيء ستفتح أبواب قلبه وترحب بأي طرف جديد من جانب زوجته وكذلك هي ستفعل بالمقابل ..

عدة عواصف قد تواجه الرُبَّانين قبل أن يصعدوا سوية إلى سفينة واحدة، أحد أهم هذه العواصف هو : المقارنة ولها نوعين، لا شك أن المثل الأعلى لدى الفتاة هو الأب ولدى الشاب هو الأم وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها، بعد الزواج يبدأ كل من الزوجين بمقارنة أزواجهم مع مثلهم الأعلى دون أن يَعُوا بالفوارق الضخمة بين الاثنين من عمر وخبرة في الحياة، فإن قارن الرجل زوجته بأمه سيختلف معها كثيرا وقد يفترق هو وزوجته بسب هذه المقارنات الغير منطقية، ونفس الشيء بالنسبة للمرأة إن قارنت زوجها بأبيها فستكرهه كثيرًا ولن تفلح في جعل هذه العلاقة مستمرة بينها وبين زوجها.

معظمنا يكره المقارنة منذ أن كان طفلا، كم كنت أكره نفسي وأكره الحياة عندما يقارنني أهلي بأحد أقراني أو بأحد أقاربي غاضِّين الطَّرف عن الفُروق التي وَضعها الله بين بني البشر يظنُّون ظن الخير بأنهم سيحفزونني لكي أصبح مثل من يقارنوني فيه ولكني كنت على النَّقيض من ظنِّهم، فحتى لو كنت قادرًا على مُجَابَهة من يقارنوني به استسلمت وتوقفت عن التحدي نكاية لهذه المقارنة الظالمة، وهذا بالضبط ما يحدث بين الأزواج عند مقارنة بعضهم البعض بمثلهم الأعلى، أما النوع الثاني من المقارنة وهو أيضا عاصف بشدة يغرق السفينة خلال أيام، وهو عندما يقارن أحد الأطراف زوجه بزوج صديق له أو زوج أخته ويبدأ بذكر إيجابيات ذاك الطرف الآخر محاولاً أن يُحقِّزَ الزوج

على تقليده، رغم أنه قد يتوفر سلبيات عظيمة بذلك الشخص لا يعلم بها من يحاول المقارنة، عند المقارنة ينزعج الزوج أو الزوجة وحتى لو كان بنيتهم سابقا فعل شيء جيد لألغوه من قائمة مهامِّهم نِهائيًا لِمجرَّد أنه تمت مقارنتهم.

أما الشُّعَب المَرجانيَّة التي تكاد تصل إلى سطح البحر فتمزق بطن السفينة إربًا وتُغرقها هي عدم الإيمان بسنَّة الاختلاف الكونيَّة، تحدثنا على الهاتف ذات يوم عن سنة الاختلاف وقلت لها أنه مهما تعرفنا على بعضنا البعض في أيام الخطوبة وأيام العقد فسنبقى لا نعرف عن بعضنا إلا القليل!!

استغربت وقالت لي : و كيف كذلك؟ فأخذت أشرح لها قصة مشاركتي السكن لأحد أصدقائي وأني كنت أحبُّه كأخي عندما كنا سويَّة في الجامعة ولكن بعد أن شاركته السكن تحول حبِّي إلى بغض ولم أعد أستطيع تحمله فتركت البيت بعد خمسة أشهر من دخولي له وبعد فترة على تركي للبيت عدنا أصحابا كسابق عهدنا، وطمأنتها أن هذا لا ينطبق عليكِ فأنا لست مجبورًا على تحمل صديق ولست مكلفًا بالتنازل عن عدة أشياء لأجله تكون على حساب الهدف الذي جئت إليه ألا وهو الدراسة .. فالاختلاف يا حبيبتي سنُّة كونية، فإن اجتمعنا غدا في منزل واحد سيكون كل واحد منا قد تعود على نمط عيش معين وقد تربى بطرق معينة وتعلم بأساليب معينة وكان له خبرات مختلفة وتجارب متباينة عن الآخر وهنا يأتي التَّحدي، حيث تكون الفترة الأولى من

الزواج لنقل الستة أشهر الأولى إلى فترة السنة هي فترة لمحاولة الاندماج و التكيُّف مع الطرف الآخر الذي سيصبح شريكا للدرب حتى النفس الأخير في الدنيا .. فإن كانت خطة أحدنا أن يجبر الآخر على التعود على نمط عيشه لن يُفلح الطرفان في التكييف مع بعضهما بتاتًا، أما إن كان هدفهم بناء حياة جديدة يرضى بها الطرفان عندها سيفلحان وينسى كل منهم نمط حياته ليتبنى هذا النمط الجديد الذي نحت معالمه الزوجان بأيديهم وصنعوه سوية من مزيج أنماطهم القديمة ..

وأضفت لها قصة أخرى وهي عندما انتهيت من الدراسة و عدت بعد أن أمضيت أربعة سنوات بعيدًا عن أهلي، وكيف أني بنيت لنفسي نمط حياة شخصي : أنام وقتما أشاء وأستيقظ وقتما أشاء ولم أضع تلفازًا في منزلي وكنت آكل ما يحلو لي وهكذا .. ولكن عندما عدت أدراجي إلى بيت أبي وأمي وبالذات في الثلاثة شهور الأولى، شعرت أني في جحيم فكل شيء تغيَّر كنت أرى أني عدت إلى نمط حياة فوضاوي ضوضائي حيث يعلوا به صوت التلفاز ويتكاثر به الشجار بين الإخوان الصغار ويلحقون ببعضهم ويعلوا صوت خطاهم على الأرض وكأنه الطبل، والأم تصرخ طالبة هدوئهم والأكل يوما لك ويوما عليك أي أنه قد يعجبك وقد لا يعجبك.. ولكني اضطررت للتأقلم فهذه عائلتي ومع الوقت تعودت وكذلك أنت .. ستكون أمي وأختي وصديقتي وزوجتي فكيف لي أن لا أحاول التأقلم وأحاول أن أبني معكِ

نمط حياة يرضى به كلانا ؟! لذا فلا تستغربي إن حدثت خلافات كثيرة في الستة شهور الأولى وحبيبتي أعيدها للمرة العاشرة من دافع التذكير .. فلنعود أنفسنا على الصراحة كي لا نحمل على عاتقنا الصغائر والتوافه التي تتراكم مع الوقت فتهلكنا قشة تقسم ظهرنا فنتفجَّر في بعضنا لأتفه الأسباب.. كوني صريحة معي ولتكن صراحتك بمثابة خدشه صغيرة بدلا من أن تكون بمثابة طعنه إن كانت متراكمة ومكبوتة.. وانتهى بهذا النقاش الذي دار بيننا في ذلك اليوم. فقالت لي كلامك جميل جدا..

بعد بضعة شهور من الرحلة الطويلة سيبدأ كل منهم بمشاطرة كل شيء هواياتهم مغامراتهم و الطعام الذي يحبوه، حتى ولو لم يكن بعضهم يحب بعض أصناف الطعام التي يحبها الآخر سيبدأ بعد برهة بحبه، وتحدث أشياء غريبة وعجيبة بينهم وتضحيات خياليَّة لم تكن لتحدث من قبل والمتهم الوحيد يكون الحب.

كان رأيي الأبدي لكل اثنان قُدِّر لهما أن يكونا زوجين هو أن يفتحوا معا صفحة جديدة بيضاء حتى وإن كان لدى كل منهم تاريخ ملطخ بسواد الذنوب والخطايا ..

فلينسوها وليدفنوا مذكراتهم وتاريخهم معا في حفرة كبيرة وليضرموا بها النيران رامين الماضي خلفهم متخلصين بذلك عن حمل ثقيل كان يرهق كاهلهم ويزيد مقلتهم

احمرارا ويكسو جفونهم سوادا من الأرق وبالنهاية ليطمروا فوق رماد تلك الذكريات التراب..
حتى رماد تلك الذكريات لا يستحق أن يتحرر في الريح، تقول بعض الأمثال النمَّامَة "ما من شجرة إلا هزَّها الرِّيح وما من قلب إلا زاره الحُب وما من شخص إلا وله تاريخ"، فلماذا نزعج أنفسنا طالما كانت هذه شبه مسلمات سوءا كان الحب طفولي أو في سن مراهقة أو من طرف واحد فالأفضل أن يبتعد كل شخص منهم عن ما ينغص رغد عيشهم الحاضر أو يعكر صفو حبهم العفيف.

ليفتحوا معا كتابا جديدا وليكن تاريخ زواجهم تاريخ ميلاد جديد، ثم ليدونوا معا مذكراتهم بداية من الصفحة البيضاء الأولى في ذلك الكتاب.

التضحيات والتنازلات التي يقدمها الشاب أو الفتاة تبدأ من اليوم الأول الذي يتقابلان فيه، وتستمر حياتهم إن كتب الله لهم أن يكونوا سعداء على هذا المنوال حتى بعد الزواج وهذه ضريبة المشاركة التي تفرضها الحياة علينا، فإن كنت وحيداً فلن تضطّر أن تقوم بشيء معين إلا إذا أردت أنت ذلك ولكن ضرائب الوحدة أكثر بكثير من ضرائب مشاركة الحياة مع زوجة ولذلك يُضحِّي كل من الرَّجل والمرأة في سبيل المحافظة على علاقتهم وتتنوَّع التنازلات والتضحيات بحجمها ويناسب هذا المقام مقال الشاعر أبو العلاء المعرِّي:
وتصغر في عين الكبير كبارها**وتكبر في عين الصغير الصغائر

مع التنويه أنه لا يجب أن يُستغل أي من الطرفين تسامح شريكه الزائد لأن ذلك قد ينقلب عليه حسب قاعدة "كل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده" وهي القاعدة الوحيدة برأي التي ينجح بها التعميم الذي يعتبره عامة العقلاء خاطئاً في معظم مواقف الحياة.

مثال على هذه التضحيات أني بدأت المشي وتخفيف الأكل في محاولة لخسارة وزني من أجلها والتضحية هنا تكون بمعاكسة النفس التي تشتهي ما لذ وطاب وتحب الراحة عن الرياضة، وضحيت بنومي فخفف كثيرا و تنازلت عن وقت نومي الذي اعتدت أن أنام فيه لأنها كانت تنام في وقت مختلف ولكننا اتفقنا أن نوِّحد نمط حياتنا بعد الزَّواج.

التقيت بأحد معارفي الذي لم يدم زواجه أكثر من سِتة أشهر وكان قد تزوج من فتاة تحفظ القرآن وكنا نتوقع لهم أهنئ العيش على أساس أنه رزق بذات الدين، ولكن الأيام أثبتت عكس ذلك فكثير من الفتيات هذه الأيام تحمل القرآن وتلبس النقاب ولكن أفعالها تشين ما يبدوا عليها ظاهرها ولست هنا في صدد التحدث عن هذا، المهم قلت له ما الذي حدث ؟ لقد صدمتني بهذا الخبر، فقال لي: اقبلها كما هي أو لا تقبلها، فقلت له فسر لي رجاءًا ماذا تعني بهذا القول!! فقال لي: عندما تتقدم إلى فتاة في مرحلة الخطبة ستجد منها بعض التصرفات وبعض الطبائع التي لا تعجبك والتي قد تظن بينك وبين نفسك أنها قد تتغير بعد الزواج أو أن

باستطاعتك تغيرها، فقلت له انصحني: ماذا أفعل كي لا أقع بـــــنفس الغلطـــــة التـــــي وقعـــــت أنـــــت بهـــــا؟

فقال لي: أرسم لنفسك (خطوطًا حمراء) يستحيل أن ترضى بها أو تتغاضى عنها مثلا أن تكون الفتاة غير محجبة أو أن تكـــون كذابـــة أو أن تكـــون بخيلـــه أو كســـولة .. الـــخ. الخطوط الحمراء تختلف من رجل إلى رجل وما يكون خطا أحمرا لبعض الرجال يكون خطا أخضرا لرجال آخرين، ومن ثم صنف طبائع خطيبتك بين هذين اللونين، فإن وجدت منها شيئا تجاوز خطوطك الحمراء فنصيحة مني أن تبحث عن فتاة أخرى لأن هذا الطبائع الذي تتصف بها لن تتغير البتة .. انتهى حديثه وقد وفقه الله وزوجه بخير منها فلا تحملوا همه وفكروا بأنفسكم، ومن وجهة نظري فأنا أرى أن المرأة يجب أن تفعل نفس الشيء تماما فهي الأخرى إنسان وقد يكون عندها بعض الخطوط الحمراء التي تمنعها من الأنـــس بهـــذا الرجـــل وإمضـــاء بقيـــة حياتهـــا معـــه.

تعود هذه الاختلافات إلى اختلاف المنابع التي نهل منها كل شخص وإلى اختلاف الأساليب التربوية التي عايشها كل منهم وإلى اختلاف البيئات الاجتماعية التي اختلط بها كل منهم ولذلك قد يلمس الشخص أحيانا إحدى التصرفات التي يستحيل أن يقوم بها هو بينما تجد الطرف الآخر يقوم بها ولا يجـد فيهـا عيبـا البتـة، فسـبحان مـن خلـق وفـرق.

ألــــــم يفكـــــــر أحــــــدكم فــــــي ســــــؤال مهــــــم!!
مــاذا لــو اسـتمر كــلا الطرفــان طــوال فتــرة الخطبــة وحتــى الزواج بتقديم سلوكيات جميلة لم تدس علـى طـرف الخطـوط الحمراء التي رسمها كل منهم ولكن بعد الزواج بدأت تظهر هذه الأمور الغير متوقعه فما الحل؟ علينـا أن نبدي استيائنا لشريكنا من أي تصـرف يزعجنـا وخصوصـا إن اقتـرب مـن خطوطنـا الحمـراء أو حتـى حـام حولهـا، فلنفـرض أنـك ضـد خـروج زوجتـك وهـي متبرجـة فـإن التبـرج وحـده لـيس خـط أحمر وحسب بل وكل ما يرتبط بـه من وضـع كحلـة فقط أو وضـع بعـض كـريم الأسـاس أو وضـع بـودرة وهكـذا، لأن التهاون في شيء يؤدي إلى شيء أكبر منه .. والنار تبدأ من مستصـــــــــــــــــــــغر الشــــــــــــــــــــــرر.

تــذكرت تجربــة مختلفــة لا تحتــوي خطوطــا حمــراء ولا خضـراء ولكنها كانـت خـاطرة أتخيـل بهـا فتـاة أحلامـي وهذا التخيل ليس كقانون الجذب الفارغ ولـيس كالبرمجـة الهُرائيـة العصـبية وإنمــا هــي خــاطرة عاديــة أقرأهــا مـن حـين لآخـر وأناجي ربي بما فيها لكي تتحقق فأسأل المولى بنفس الوقت أن يرزقنــي مــا تمنيتــه وقـد كتبـت هـذه الخــاطرة منـذ ثـلاث سنوات وكانت النيَّة أن أطلب من كل فتـاة أتقدم لهـا أن تقرأ هـذه الخــاطرة لأرى ردة فعلهــا عليهــا !!! لا أريـد تشـويقكم ولكنـي أتمنـى من كل شاب وشابة أن يكتب مثل هذه الخـاطرة بطريقته الخاصـة يتخيل ويكتب بهـا مواصفات رفيق دربه..

ولا عيب في ذلك البتة ولا حرمة، وإن من يهول أمر ذلك ويستحي أن يذكر شيئا عن أمه أو أخته أو زوجته فهو مغفل نسى أن من علمه كيف ينظف نفسه بعد قضاء حاجته هو أمه، لا ويزيد الطينة بلة أولئك الذين يقولون جملة "أكرمكم الله" قبل الحديث عن النساء وهو من يستحقون أن يقال قبل ذكرهم أكرمكم الله، ليس موضوعنا الآن .. لقد تحدث الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن زوجته في أحد مقالاته واصفا أيها وقال لمن يستهجنون وصفه زوجته هذه الكلمات: "أكتب عن زوجتي فأين مكان العيب في ذلك؟ ولماذا يكتب المحب عن الحبيبة وهي زوج بالحرام، ولا يكتب الزوج عن المرأة وهي حبيبته بالحلال؟ ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغب الناس في الزواج. والعاشق يصف الباطل من محاسن العشيقة فيحبب المعصية إلى الناس؟ إن الناس يقرؤون كل يوم المقالات والفصول الطوال في مآسي الزواج وشروره،فلم لا يقرؤون مقالة واحدة في نعمه وخيراته؟" انتهى كلامه، والآن لنعود لخاطرتي التي وصفت بها فتاة أحلامي:

"فتاة أحلامي"

لا أعلم لما أكتب عنها من الآن و مازال الوقت مبكرا حتى تأتي تلك اللحظات السعيدة .. أبحث عن إنسانة تفهمني إنسانة بكل ما تحمله الإنسانية من معنى؟ إنسانة تكون صادقة معي .. مخلصة لي لا تلتفت إلى

سـواي. إنسـانة تضـحي مـن أجلـي، وتبحـث عـن أي وسـيلة لإرضـائي وإسـعادي.. إنسـانة تصـبر علـى سيئات طبـاعي ..تفهمنـــي وتحـس بـي. أجـدها عنـدما أحتاجهـا بجـانبي، تسـاعدني بالإنصـات إلـى همـومي دون تعـب أو ملـل إنســانة تمســح دمعتـــي قبــل ســقوطها علـــى وجنتـــي .. إنسانة تعرف أني أعني لها الكثير وأنـه لـن تعوضـني بكنـوز الـــــــــــــــدنيا كلهـــــــــــــــــــــــا .. إنســانة تحــبـــــني بــصـــــدق لأبادلهــا كــل مــا ذكرتـــه. لن أحاول مراقبتها لأرى أنها تحقق ما أتمناها أن تكون عليه ولكنـي أتمنـى بـأن تتصـف زوجتـي بتلـك الصـفات، طلبـي سيكون لها أن تعاملني كما أعاملها.

سأبدأ بدينها: أتمنـى مـن الله أن يرزقنـي بالفتـاة التـي أمرنـا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحث عنها متدينة ومتفقهـة الفقـه الكـافي لتنشـئة أجيـال إسـلامية لا تفكـر بـالحرام وأينمـا رأته تبتعد عنه كل البعد، أريدها أن لا تقطـع فرضـا فرضـه الله عليهـا .. و إن رأتنـي مقصـر فـي فـرض مـا أو مـثلا لنقـل نـائم عن صلاة الفجر أن ترفسني حتـى تـوقعني مـن الفـراش لأقوم بأداء الفريضة خوفا علي من أن أموت وأن مقصر في حق الله .

أخلاقهـا: أتمنـــى مــن الله أن يرزقنـــي بفتـــاه خلوقـــة عفيفـــة تحترمنـي كمـا تحتـرم أباهـا ولا تـرفض لـي طلبـا إلا مـا لا يرضـي الله عز وجل، أتمنـى أن لا تـأتي لـي يومـا تشـتكي بـه من أمي لأني أعرف من هي أمـي؟ أمـي التـي طالمـا دعيـت

ربي أن يرزقني بفتاه تحمل صفاتها الفاضلة. ليس لأنها أمي .. فأنا أعرف أشخاصا لا يهدأ لسانهم بلعن أخلاق أمهاتهم لما يروه من سوء تعامل مع آبائهم، أتمنى أن تعرف معنى التنازل و أن تكون حنكة كفاية لتعرف عواقب الأمور وتكون نظرتها بعيدة المدى لتشمل شهورا للأمام .

شخصيتها: أتمناها قوية الشخصية ليس إلى حد التسلط وحب السيطرة ولا لدرجة السادية المسترجلة التي تحب أن تتولى زمام الأمور وتحب أن تتحكم بزوجها .. إنما قوية الشخصية التي تبادر وتشارك وتطرح وجهة نظرها ولا تسكت على باطل.
أتمنى أن تكون ذكيَّة كفاية لتستطيع إدارة شؤون بيتها جيدا وتدير وقتها بشكل جيد ..
و الأهم من ذلك أن يكون هدفها الأول أن تصنع من أولادها بمساعدتي طبعا أبطالاً يرفعون اسم الإسلام عاليًا بعلمهم ويعيدون أمجادا انطفأت أنوارها منذ زمان بعيد.
لطالما نويت أن أكون أحد أولئك الأبطال ولكن إن قدر الله ولم أستطع ذلك فأسأل الله أن ييسر ذلك لأحد أبنائي.
أتمنى أن تكون صريحة كفاية لتقومني عندما أخطئ ولكن ليس صريحة لدرجة الوقاحة الجارحة.
أتمنى أن تكون قنوعة كفاية لتكون غير متطلبه .. . تقنع بكل الظروف التي سيوضع زوجها بها في يوم من الأيام .. تقنع بأي سقف قد يضطر زوجها للنوم تحته يوما من الأيام .. مؤمنه كفاية لتقنع بأن الدنيا زائلة وأن الفوز الكبير بالآخرة.

أتمنى أن يزيد حبنا لبعضنا في كل يوم لدرجة أن يـأتي يومـا نتمنى فيه معا أن لا يفترق أحدنا عن الآخر حتى فـي المـوت الـــــــذي يفـــــــرق بـــــــلا رحمـــــــه.

شكلها: قلمـا أهمَّنـي الشـكل لـيس بمعنـى أنـه لا يهمـن البتـة ولكني أقصد أنه في حال توفرت الصفات السابقة فعلى الدنيا السـلام، أتمنـى أن يرزقنـي الله بفتـاة طويلـة القامـة مـن ١٦٥ إلـى ١٧٥ سـم نحيلـة إلـى متوسـطه الجسـم، بيضـاء البشـرة محمرة الأطراف، ناعمة الشعر إما بلون أسود فاحم أو بلون خرنـوبي "لـون قريـب إلـى البنـي"، نجـلاء العينـين برمـوش طويلـــة وبالنهايـــة أتمناهـــا رخيمـــة الصـــوت .

طموحها: كم كرهت فتيات هذا العصر عندما رأيتهم فـي الجامعـة فـالطموح كـان مخـز وكـذلك معظـم حـال الشـباب .. لأن الهوية الإسلامية مفقودة والتبعيـة والقدوة تكـون للغـرب والرسول صلى عليه الله وسلم وأصحابه مهمَّشين فـي عقـول شـــــــباب هـــــــذا الجيـــــــل ..
أدعوا دائمًا وأتمنى أن يستجاب دعائي : اللهم اجعلني وإياها للمتقـــــــين إمامًـــــــا ..
أتمنى أن تكون هذه الفتـاة صـاحبة رسـالة و طمـوح وأهـداف محددة.. تبحث عن المثالية وإن لم تستطع بلوغها مدى الحياة فالكمـال لله، الفتيـات التـي يحملـن هذه الصفات أصبحوا قلّـة ولكنهم موجودون والحمد لله .. كم كانـت سير الصـحابيات مـؤثرة.. فـأين فتيـات هذا العصـر مـن الصـحابية سمية بنـت

خُبّاط أو خولة بنت الأزور .. أتمنى أن يرزقني الله بما فيه الخير لي لمعاشي وعاقبة أمري.

ألا يحق لي أن أحلم .. اللهم هذا حلمي ودعائي لك اللهم اصطفي لي الزوجة الصالحة التي تخافك والتي وصانا بها رسولنا صلى الله عليه وسلم وارزقنا اللهم زينة الحياة الدنيا، الذرية الصالحة واجعلهم قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، وارزقنا بالمال الحلال فأنت تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر .. وإن لم تقدر لي بهذه الزينة خير فاصرفها عني واجعل لي الخير كله في حياتي الآخرة. اللهم إني أسألك البركة في كل شيء.. في الوقت و المال والولد وفي كل أمور ديني ودنيتي، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان ومنك الاستجابة.
... انتهى المقال

كنت قد مررت هذا الوصف لتقى ضمن مجموعة مقالات جمعتها في كتاب أسميته حديث الروح وكنت أقول أن اللبيب من الإشارة يفهم وفعلا عندما فتحت هذا الكتاب يبدوا بأنها لم تقرأ غير هذه الخاطرة من بين كل المقالات وسألتها يوم قراءة الفاتحة: كيف تري انطباقك على مواصفات الفتاة التي تمنيتها أن تكون زوجة لي بالمقال، فردت بإيماءة لطيفة لأن يدين الخجل كانت تطوق عنقها الرقيق وفهمت من إجابتها التي خرجت بالكاد من حنجرتها وهو أن مقالي يطابق صفاتها فتنهدت براحة وحمدت الله.

لقد كتبت كثيرا عنها في السابق دون أن أعي من تكون ومتى ستأتي ومن أين ستأتي وكنت في كل مرة أنتهي من الكتابة عنها أقول بيني وبين نفسي هذه آخر خاطرة تخطها أناملي عنها ومن حسن حظي أني نجحت في يوم ما بالسيطرة على قلمي وبت أكتب عنها في كتاب الخيال خاصتي .. آخر ما خططته أناملي كان قبل أن أراها بستة أشهر بضع كلمات حزينة يملئها الأمل يتربع على عرشها عنوان "حوائي" ونصها:

"هو كائن بشري خلقه الله سبحانه وتعالى لحكمة ربانية ربما كان سبب وجودها اكتمال التوازن الكوني .. يقال في القصص أن آدم استوحش فخلق الله حواء من ضلعه لتكسر وحشته بأنوثتها ولتآنسه في وحدته .. أتأمل بيني وبين نفسي لأني استوحشت وانظر إلى السماء بطريقة اعتقدت أنها تضحك سكان السماء!! أقول بقلب مكسور : ربي لقد استوحشت فأين هي حوائي التي خلقتها من ضلعي وكتبت في اللوح المحفوظ أنهـــــا ســـــتكون زوجــــــة لــــــي؟ لا أدري إن كـــان يحـــق لـــي أن أســـأل هـــذا الســـؤال!! كل ما أعرفه أني أبحث عن تلك التي خلقت من ضلعي بطريقة لا أدري ما كيفيتها ولا أريد أن أدري، كل ما أريده أن أجد تلك المخلوقة لأضمها إلى صدري فأتمم نقصا وفجوة أحـــس بهـــا نشـــأت فـــي وقـــت أجهلـــه ولســـبب أجهلـــه .. ربي هذه السنة الخامسة وأنا أنظر إليك متسائلا : أين حوائي .. أيــــــــــــن حــــــــــــــوائي؟

١٩\٨\٢٠٠٨ ـ الساعة الرابعة والنصف صباحا



لا خلاف أنا أمر المحابس هو أمر دخيل لا علاقة له بالإسلام وهو عادة غربية جاءت من الغرب مع الاستعمار ومع مخالطة الناس من الأديان الأخرى ولذلك أود التنويه أن عادة تلبيس الخواتم أو المحابس أو الدبل بأسمائها المتعددة هي مجرد شيء تقليدي وضعه المجتمع ونضطر أحيانا للقيام به تجنبا للضر الحاصل كأن يشاع على الشخص بأنه متعصب رغم عدم صحة ذلك أو يشاع عنه أنه بخيل يتقنع بالدين كي لا يشتري الخواتم ومن هذه الأمور التي لا يمل المجتمع من الحديث عنها وأنا هنا لست أتحدى المجتمع بكامله فقد أعطى بعض العلماء رخصة في هذا الأمر أن إذا كان الشيء دخيلا على الإسلام وكانت نية المرء أن يفعله لا تشبها أو تقليدا فلا بأس أن يفعله كي لا يتصادم المرء ومجتمعه ومن هذه الأشياء مثلا عادة القيام احتراما فهي محرمه ووعد من يطلب من الناس أن يقوموا له بأشد الوعيد في السنة النبوية ولكنها أصبحت في كثير من الدول العربية عرفا دخيلا لا أدري من أين أتى.
من عاداتنا في سوريا أن الشاب يبدأ بزيارة خطيبته في بيتها بعد التلبيس وتختلف هذه العادات من مكان لآخر ويشترط وجود محرم معهم في نفس الغرفة كي يكون مجلسهم يطابق

شروط الآداب الشرعية والأخلاقية لأن الخاطب في ذلك الوقت ما زال غريبا عليها ولا يحل له منها شيء .. وكنت في شوق لتلك اللحظات، كان اتفاقنا من قبل أن نشتري المحابس على ذوقنا ولكني فضلت أن تختاره بنفسها رغم أنـــي أؤمـــن أن الأذواق ستتشـــابه .. لمـــاذا يـــا تـــرى؟
لأني اخترتها واختارتني وهذا دليل كاف لي أن أذواقنا جميلة وإن كانت الاختلافات طفيفة، اتصلت بي أمي في اليوم المتفق عليه وكان اتفاقنا بالأمس أن أذهب وأخذهم معي بالسيارة ومن ثم نتجه إلى سوق الذهب ولكن المفاجئة أن أمي قالت لي في تمام الساعة الخامسة سنكون أنا وهم في السوق وكان الساعة في يدي تشير إلى الرابعة والخمس وأربعون دقيقه فما لبثت إلا أن أغلقت حاسوبي وأخبرت مديري بالموضوع وكنت بحمد لله وبتيسير منه قد أنهيت مهامّي في ذلك اليوم مبكرا، فتوجهت إلى محل ورود واخترت باقة صغيرة من ورد الجوري باللونين: الأبيض والزهري ووضعتها في السيارة بالخلف وانطلقت مسرعا إلى مكان وجودهم وكأن معي حالة ولادة في السيارة وشوقي لرؤيتها كشوق ظمآن انقطعت به السبل في عرض الصحراء وطال عليه العطش حتى وجد بئرا فأخذ يركض إليـــــــــــــــــه كـــــــــــــــــــــــالمجنون.
التقيت بهم بعد انتهوا من التسوق واتجهنا مباشرة إلى "سوق آخر" كنت قد زرته أنا وأمي في الليلة الماضية وأخذنا فكرة عن السوق وعن إمكانية إيجاد طلبنا هناك وسبحان الله كان التيسير أيضا لا يوصف إذا انتهينا من كل شئ خلال ساعة

ونصف تقريبا وفي ذلك اليوم كنت أكتفي بالوقوف بعيداً ولا أقترب منها إلا إن طلبوا رأيي بخاتم معين لأني كلما اقتربت منها أحسست أن أنفاسها تكاد تنقطع من الخجل ولكني في ذلك اليوم استطعت أن أنجز انجازا، كما ذكرت سابقا أني حاولت اكتشاف طولها منذ الزيارة الأولى وفي هذا اليوم استطعت والحمدلله أعجبني طولها بالمقارنة مع طولي، وأهديتها في ذلك اليوم إحدى الروايات التي شوقتني إلى الزَّواج وهي رواية ماجدولين "تحت ظلال الزيزفون" التي ترجمها إلى العربية الأديب المخضرم : المنفلوطي، إضافة إلى باقة ورد الجوري.

بعد أن اخترنا الخواتم أخذتهم إلى بيتهم وانتظرت في الأسفل حتى تلاشت الفتاة عن أنظاري ومن ثم عدت وأمي إلى منزلنا، أتحرى لوحدي بشوق موعد اللقاء القادم.



الصراع مع الوساوس كالقراصنة التي تحاول أن تسلب كل شيء بغير حق في هذا المحيط الغامض، قد تستطيع مقاومتها إن كان ربانا جهبذا و حكيما وقد يتغلبوا عليك فينبهوا ما على سفينتك ويمضوا في طريقهم. ماذا فعلت بنفسي .. هذا ما قلته بسبب الوساوس، كثير من

شباب اليوم تصيبه حالات توتر يردد فيها نذير الشؤم هذا الذي لا يتفوه به المتوكل على الله حق توكله، لنكن واقعيين ونسأل من تبقى من شباب المسلمين اليوم متوكل على الله حق توكله؟ التعميم خاطئ بالطبع ولكني وددت لو أعمم فهذا ما أراه من حولي بتنا نخاف من رئيسنا في العمل بأن يقطع رزقنا خوفا يطغى على اليقين بأن الله هو الرزّاق، وأصبحنا نربط السعادة بشركة معينة أو بدولة معينة وهذا كله كلام فارغ فالسعادة والرزق والبركة كلها من واحد أحد فرد صمد.

ذاك اليوم تفوهت بهذه الجملة وكنت كمن يقال عنه "أتشاجر مع ذباب وجهي" كنت في ذلك اليوم أبحث عن بيت لأستأجره لأصطدم بأمرين الأول قلة البيوت المعروضة للإيجار وهذا يعني ارتفاع الأسعار للمتوفرة وأكثر ما كان يرفع ضغطي في ذلك اليوم هي المكاتب العقارية المتعجرفة التي كانت تعلق لوحة على الباب كاتبة بها : (لا يوجد شقق للإيجار) فعندما أقرأها أحس بشكل أو بآخر بأنها موجهة لي وحدي من بين كل الناس، لم أجد البيت الذي أستطيع تحمل نفقاته، فصعدت سيارتي وأنا أتفوه بكلام أنا لا أفهمه، الحروف تداخلت مع بعضها والكلمات لا تحمل معنا والحواس تتلاطم داخل إعصار طفيلي لا أعلم مصدره.

أتحدث هنا عن حالة تصيب الرجل في فترة الخطبة وتستمر معه إلى ليلة الزفاف وتأكدت أني لست الوحيد الذي عايشها

قبل أن أنقلها هنا، وهي حالة اضطراب نفسي يتخللها مزاجية غريبة من قمة الفرح إلى قمة الهم والحزن، فقد يكون الخاطب يفكر في أمر ما فتجد ابتسامته تكاد تصل إلى شحمتا أذنيه وفجأة تراه مقطب حاجبيه وعابس ومنهمك في التفكير، ولذلك تفسير بسيط: فعندما يكون الخاطب مبتسما فهو ينظر إلى الجوانب المشرقة في الزواج وإلى الألفة والاستقرار التي سيحظى بها بعد أن تصبح زوجته عنده، ويقطب حاجبيه ويعبس عندما يفكر في المصاريف المترتبة على المهر أو على استئجار منزل وفرشه و استئجار صالة أفراح و شهر العسل فتجد الهم قد ركبه ولكن انتبهوا فهذه كلها وساوس شيطانية يبثها الشيطان على الخاطب كي يفسخ الخطبة ويجمع المزيد من المال كي يكون على استعداد وهذا كله من الأوهام، إذ يجب على المسلم أن يتوكل على الله حق التوكل ويتذكر قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف" [٦] ، ومن هذا الحديث ندرك أن الزواج هو سبب في سعة الرزق وحتى في القرآن وعد الله عز وجل أن يغني الزوج الفقير إن تزوج في قوله تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [٧] ولذلك يجب على المسلم أن يتوكل على الله حق توكله ولا يحمل هم المال الذي سيكون سببا يساعده على

---

[٦] الحديث برتبة الحسن بحكم الترمذي والبيهقي وأحمد والألباني

[٧] سورة النور : ٣٢

ستر نفسه وعفافها فإن توكل وظن بالله ظن الخير رزقه كما يرزق الطير من حيث لا يحتسب وكفا بالله وكيلا، ولا تنسوا أن الشيطان يوسوس لكم بأن تفسخوا الخطبة وحتى لو كتبت الكتاب الشرعي فسيوسوس لكم بأن تطلّقوا زوجتكم حتى آخر ثانية وكلما اقترب الرجل من ليلة الزفاف ازدادت حدة هذه الوساس التي يبثها الشيطان وازداد توتره بشكل ملحوظ ولذلك تجد في الفترة الأخيرة قبل العرس بأسبوع إلى أسبوعين ينصح كلاً من أهل الزوجين بأن لا يروا بعضهم البعض .. فإذا سألتهم اكتفوا بقول بأن أعصاب الطرفين تكون على وشك الانهيار لعدة أسباب، ربما كان سبب بداية نزوح المسئوليات إلى مملكتك أحد أسباب التوتر وأحد الأسباب التي تعطي للشيطان إشارة خضراء بأن يمدك بهمزاته ويقول لك: مازال أمامك فرصة لتوقف كل شيء .. لا تورط نفسك .. فلتبقى حرا طليقا .. إلخ من هذه الوساوس حتى تقول: اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك اللهم أن يحضرون، وأنا أكتب هذه الكلمات وأقولها بدأت نيران أعصابي تخمد وبدأ الرماد بالرقص على موجات الهواء، يقوم بحركات بهلوانية رائعة معلننا عن حالة تسمى : طـــــــــــنش تعـــــــــــش تنـــــــــــتعش.

عدت إلى البيت في يوم ما وكانت والدتي تعرف بأني كنت في رحلة للبحث عن منزل، وعندما رأتني قالت لي: أمي الرعب واضح في عينيك، لم لا تسكن معنا .. أعطيك غرفتين من المنزل، طبعا العرض بالنسبة لي مغري ولكن

هناك الكثير من العوائق التي تقف في وجه أن أتخذ مثل هذا القـرار وهـو وجـود إخـوتي فـي المنـزل وشـعور زوجتـي بالأسر واضطراها للتحجب في معظم الوقت .. لا أدري، كان لأهلي عادة سيئة وهي أن يستمعوا إلى التلفاز بصوت مرتفع وكـأنهم كهول ذهب سمعهم، وكنت ومازلت أكره التلفاز .. هذه واحدة والأخرى أتحسس من الأصوات بشكل غير منطقي أن لا أفهمه أحيانا إذا قد يسبب لي منبه سيارة خلفي حالة هستيرية أصبح أؤشر للسيارة التي خلفي بيدي أن ماذا تريد بطريقة عدائية وكأني أود التشاجر، فقلت لهم تريدوني أن أسكن معكم .. وبدأت أتشاجر مع ذباب وجهي من جديد وأبربر بكلمات نبرتها ضيقة النطاق لا يسمعها إلا من هو بجانبي أقول فيها : تبا لهذا البيت تريدوني أن أسكن معكم .. تبا لهذا البيت أن لا أصدق متى أخرج من هنا كي أصنع نظامي الخاص بي.. والاستقلال أعتقد بأنه رغبة موجودة بكل إنسان ورغم ذلك يجب أن لا يعبِّر الشخص عن عواطفه هذه أمام أهله البتّة لأنه سيجرحهم كثيرًا، لقد سمعت أمي بربرتي فقالت لي بنبرة يبدوا عليها الحزن مما سمعت : تقول لي أمي هذا البيت تربيت فيه وترعرعت فصعقت ولم أجد شيئا يتردد على لساني إلا الاعتذار وتذكرت لحظتها نقاش صغير دار بيني وبين زوجتي عن التلفاز حينما قلت لها: هل لديك مانع أن لا يكون لدينا تلفاز في المنزل ؟ "سألتها متواضعا متوقع أن تكون مطيعة لدرجة أن تقول لي : أنت ماذا تريد ليكون مرادي نفسه" ولكن الجواب كان: طبعا لدي مانع، فقلت لها بتحدي:

سنشتري واحدا إن شاء الله ولكن أعدك أن لا أجلس معك على التلفاز عندما أكون في المنزل فرددت قائلة وأنا أعدك أن لا أفتح التلفاز عندما تكون في المنزل! لا أدري من منا سيلتزم بوعده ولكني على الأقل لن أنسى ما كانت تقوله جدة أمي رحمها الله، كانت تقول: هذا هو الأعور الدَّجَّال .. هذا سبب هلاك الأمة.

كلما اقتربت من الزواج أصبحت أرى الدنيا كلها بعيون متزوج حديث يرى الازدواجية في كل شيء تقريبا ففي مناسبات معينة عندما نريد شراء سيارة لاحظنا أنها أصبحت في كل مكان وربما هي كانت كذلك قبل قرارنا بالشراء ولكننا لم نكن لنلاحظها البتة، وهكذا الحال عندما تهم بالزواج فأنت لا ترى من الدنيا إلا المتزوجين فيها أو بمعنى أفضل ترى الأشياء على شكل ثنائيات، فإذا فتحت النافذة بالصباح وجدت عصفورين على الشجرة المقابلة لداركم يتغازلان ويقفزان فرحا لوجودهم على غصن واحد وإذا نظرت للسماء رأيت قلوبا وكلما ترى عائلة في مكان عام تقول متى سأكون مكانهم متى سأمشي كهذين الزوجين تحت ظلال هذه الأشجار متى سأجد من أعانقه.

كنا قد تحدثنا في نفس اليوم الذي اشترينا به المحابس وحاولت أن تعرف مني ما هي الأكلات التي أحبها، لكي يقوموا بطبخها لنا لحظة قدومنا في مناسبة التلبيس وهذه عادة جارية عند بعض العوائل السورية أيضا بأن يقدموا

عشاءا لأهل العريس في يوم التلبيس، فأخبرتها بأني أحب (اليلنجي و الباطرش) والباطرش هي طبخة يصنعها أهل مدينتهم "حماة" ولا يطبخها أهل مدينتي "دمشق" أما اليلنجي فهو معروف و أصبح يباع معلبا في بعض الدول العربية .. لم تتحدث كثيرا في هذه الليلة بشكل ملحوظ لا أدري ما بها ولم تكن المكالمة طويلة وبعدما ودعتها أرسلت لي رسالة تسألني بها إن لاحظت بأنها لم تتحدث فقلت لها نعم وأنا أرى أن لا نتحدث البتة حتى يوم التلبيس ولكني في اليوم التالي وجدت نفسي في الظهيرة أرسل لها الرسائل وفي المساء تحن أذناي لسماع صوتها العذب وفعلا اتصلت بها فقالت لي أين الذي قال أن لا نتحدث حتى يوم التلبيس؟! فقلت لها اعذريني لم أستطع المقاومة.

اتصل بي أحد أعز أصدقائي في تاريخ التلبيس قبل أن نتوجه لهم وقال لي أني رأيتك في منامي أمس تتيسر أمورك وتسير بخطى ثابتة نحو الزواج، فقلت له: الله يبشرك بالخير، وقال لي: الله يتمم لك على خير.

أخذت معي صحن الشوكولاه و باقة الورد الجوري المنسق بلونيه الأحمر والأبيض وشددت الرِّحال أنا وأمي وأبي إلى منزل خطيبتي وأتذكر أننا وصلنا قبل ثلث ساعة من الموعد و أخذنا ندور حول منزلها بالسيارة حتى جاء الموعد، ولا تتعجبوا إن أخبرتكم أني قد ارتديت الملابس قبل خمس ساعات من الموعد لا أدري لماذا كل هذا الحماس !! وصلنا المكان، أبي يحمل صحن الشوكولاه أمي تحمل

الخواتم بيدها وأنا نصف مغطى بباقة ورد كبيرة بين يدي ، دخلنا الصالة وتبادلنا بعض الأحاديث وطلبوا مني أن أجلس في صدر الغرفة ولهذا دلالة عندنا على التقدير ولدينا مثل مشهور يقول "الصدورة للبدورة" وهي تعني أن صدر الغرفة لكبار القوم وتركوا المكان الذي بجانبي فارغا ففهمت لماذا يخططون وسررت في مكنون نفسي دون أن أظهر ذلك، جاءت تقى بفستانها البنفسجي الغامق والحجاب الأبيض الجميل وكأنها البدر في صدر السماء لتضيفنا القهوة وتجلس بجانبي وكنت قد هدّدتها مازحا قبل مجيئي أن يا ويلك إن لم تتحدثي اليوم فوجدت نفسي عاجزا عن الحديث أمام كل هذه العيون التي ثبتت علينا وتدرس وتعلق على كل حركة نقوم بها واكتفيت بسؤالها عن حالها وعن بعض الأمور البسيطة وجاء موعد التلبيس وكنا قد تحدثنا قبل يومين من تاريخه أن أمي ستلبسها لأني لا يحل لي أن ألمسها استدلالا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "الصحيح" حين قال : (لأن يطعن رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) وقد اختلف العلماء في تحديد معنى المساس ومنهم من قال أنه اللمس، ولكن عندما أخرجت أمي الخواتم قالوا لنا هيا ألبسوا بعضكم فكل منا أصبح في غاية الخجل ولم أعد أعلم بأي الخواتم أبدأ لأني أحضرت اثنين، سار الأمر على ما يرام حيث أني أمسكت بالخاتم من أطرافه وأدخلته في إصبعها دون أن المسها و لبست خاتمي بنفسي لأن إصبعي كان منتفخا من ناموسة غيورة كانت قد قرصتني بالأمس فتورم أصبعي

وأصبح إدخال الخاتم فيه صعبا. ملئني الإحراج وكدت أختنق من ضغط ربطة العنق على رقبتي وأحسست أن الدم ارتفع لرأسي وتوقف عن الجريان.

ومن ثم دخل جميع النساء للداخل كي يقوموا بتخضير العشاء وفي هذه الأثناء تذكر أبي أننا نسينا في المرة الماضية قراءة الفاتحة وذكَّر بها عمي الذي قال له: عمرك أطول من عمري لأني كنت سأذكرك بها، وفعلا دخل النساء ناسين الأمر كلياً وقالوا لنا تفضلوا للعشاء فقال أبي وأبوها: قبل ذلك ادخلوا حتى نقرأ الفاتحة وبعدها نتعشى وفعلا قرأنا الفاتحة على نيَّة التوفيق ودخلنا للعشاء لنرى على السفرة تشكيلة من الطبخات السورية أتذكر أنها كانت خمس أطباق أو أكثر وكان الطعام لذيذاً جدا فقالت لي أمي اطمئن فهذا أكل حماتك لذيذ، ولم تأكل تقى كثيرا في تلك الليلة حتى أخجلتني من الأكل براحتي وبعد العشاء قالوا لي أبقى معها حتى تكمل صحنها وكانوا يريدونا أن نأخذ راحتنا في الكلام وفعلا بمجرد خروجهم بدأت الحروف تنسج على ألسنتنا وتحدثنا وتحدثنا وأخذنا الحديث وعندما قال أهلي أن هيا لقد تأخرنا قلت لهم بالعامية "قاعدين" أي ما زال الليل بأوله فلما لا نمضي مزيدا من الوقت ولكن يبدوا بأن النعاس غلب عاطفتهم برؤيتي مسرورا إلى هذه الدرجة، وقرروا العودة إلى المنزل ليحظوا ببعض النوم.

كنت قد حاولت جاهدا في تلك الليلة أنا أعرف أمرين .. متى بإمكاني القدوم لزيارتها وما هو المهر المطلوب مني والاثنان لم أستطع الحصول عليهم بنفس اليوم، بالنسبة للزيارة قالوا لي أهلا وسهلا بك في أي وقت والمهر قالوا لي لا نريد أن نثقل عليك والذي تريده نقبل به، وهذا الكلام يفرح كثيرا عندما يقول لك والد الفتاة أن المتقدم لنا رجل لا يهم ماله المهم أنه رجل على خلق ودين نرضى به، وانتهت زيارتنا وعدنا إلى المنزل، واستطعت لاحقا أن أتفق وإياها على مواعيد قدومي وكذلك اتصل بي الأب بعد يومين من زيارتنا وطلب مني أن آتي إلى مكان عمله لنناقش مسألة المهر وسبحان الله كنت في نفس اليوم في وقت متأخر في عملي بعد أن انتهى الدوام أقوم بحساب الحد الأعلى للمهر! قد يستغرب بعض القراء مما قرأ "الحد الأعلى للمهر!"، استشهد بتحقيق للعلامة المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله في رواية خطبة عمر عن تيسير المهور وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حده بحد أعلاه أربعمائة درهم فضة وتتمة الرواية أن امرأة قامت معترضة فغيرت رأي عمر، وقد حقق الألباني رحمه الله في هذه الروايات واستنتج أن الجزء الثاني من الرواية الخاص بالمرأة التي اعترضت : موضوع [٨] وعلى هذا تكون أوامر عمر رضي الله عنه تشريعا يجب أن نتبعه بناءا على ما نص عليه الحديث

---

[٨] مقال بعنوان (حول المهر) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني دمشق ٦ / ٧ / ١٣٨١ هـ - مجلة التمدن الإسلامي (٢٨ / ٥١٤ – ٥١٩)

الصحيح برواية عن العرباض بن ساريه رضي الله عنه حين قال:" صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقيل : يا رسول الله ! كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال:"عليكم بالسمع والطاعة ، وإن كان عبدا حبشيا ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة".

قمت بالبحث عن الوزن الصحيح لدرهم الفضة الإسلامي في تلك العصور ووجدت كتابا يفصِّل ذلك على اختلاف الأقوال فيه وكان متوسط وزن الدرهم بحساباتي ٢.٨٥ جرام .. اتصلت بأحد بائعي الذهب وسألته عن سعر جرام الفضة وقمت بحساب الحد الأعلى للمهر لهدف أن لا أزيد عليه وأن اطلب بالتيسير إن كان الرقم المطلوب مني أعلى منه، والحمد لله كان مهري يسيرا بفضل من الله ولم يتجاوز الحد الذي وضعه عمر بن الخطاب رحمه الله، لا أبت بهذا بصحة ما قال فيه الألباني ولكن هذا اجتهاده وأنا أرى بإتباعه نفعا للأمة التي أهلكها التكاثر بالأموال وألهاها.

الفصل السادس: طفولة رجل وبوحه بالحب



لا أدري لماذا يتصور بعض العرب أن الرجل يجب أن يملك قلبا من حجر وأن لا يذرف دمعة في أي مناسبة فإن فعل خلاف ذلك فهو .. ! وهذه كلها تصورات متخلفة مع احترامي لمتبنيها فالرجل بالنهاية إنسان يحمل أحاسيس ومشاعرا مثله مثل المرأة ويجب أن لا تمنعه أنانيته الذكورية من البكاء.

كحال أول فتاة تقدمت لها ولكن لم يكتب الله لنا نصيبا وتحديدا عندما اقترب الأمر من أن يصبح جديا في تلك اللحظات اضطربت منظومتي العاطفية ورأيت الدموع تنهمر من عيني كالمطر وكنت في المرتين في السيارة، في المرة الأولى لم أعرف لماذا بكيت ولم أستطع أن أعبر للفتاة الأولى عن شعوري وعن سبب بكائي لأني صارحتها بذلك ولا أدري لماذا فعلت !! وعلى كل الأحوال لم يكتب لنا الله أن نكون زوجين.. أما في المرة الثانية فقد استمررت بالبكاء لمدة نصف ساعة ولكن هذه المرة كنت أحاول أن أعرف لماذا أبكي وتجلى لي السبب ولكني هذه المرة لم أخبر خطيبتي بأني بكيت وأيضا لا أدري لماذا قررت أن لا أخبرها ربما كنت خائفا أن يحدث شيء كما حدث في المرة الأولى وربما وربما .. ولكن بعد أربعة أيام أرسلت لي

رسالة تقول لي فيها: هل تسمح لي بالبكاء فقلت لها بالتأكيد وبحـــــت لهـــا بهـــذا الســــر الصـــــغير. امــتلأت الفتحــات المخصصــة لكــؤوس القهــوة بالمناديــل وأحسست بابتلال قميصي من كثرة الدموع .. صوت القارئ في مسجل السيارة يصدح بخير الكلام والرؤيا غير واضحة من فيض الدموع والأفكار تتزاحم والعقل مشوش، أتساءل مع نفسي لماذا أبكي وما الذي أثار عاطفتي إلى هذا الحد !!! فوجـدت أن الاقتـراب مـن تحمـل المسـئولية هـو السـبب الرئيسي حيث أن مخاوفي اتجاه أي شيء ستضاعف بمجرد تواجد هذه المسئوليات الجديدة فـي حيـاتي فيجدر بـي القلق عليها وهذا حـال الجميـع باعتقادي فعنـدما تكون أعزبـا لـن تهتم كثيرا مثلا في ترك عملك أو فـي السفر لبلد آخر فأنت شخص واحد وفـي أسوء الأحوال يمكنك أن تجد ما يعينك على البقاء على قيد الحياة ويمكنك أن تجد مكانا يؤويك أما عندما تصبح مسئولا بالشرع والعرف والإنسانية عن إنسانة فكـل هـذا المعـايير سـتتغير وكمـا ذكـرت آنفـا أن الخـوف سيتضـاعف لـديك ممـا يسـبب لـك ارتباكـا عاطفيـا فـي بدايـة الأمر ولـن تستطيع أن تقول "مـا بتفرق" كمـا كنـت تقولهـا ســابقا، كثيــر مــن الأمــور سيوضــع فــي عــين الاعتبــار.

اتصل بي عمي ليناقشني بالمهر وبدأت أشعر أن الأمانـة قد اقتربـت منــي لأحملهـا وبكـائي لا يعبـر عـن عـدم مقـدرتي بتحمل هذه المسئولية وإنمـا كـان رجـاءا بتضـرع بينـي وبـين ربي فكنت أذرف الدمعات وأسأله أن يـوفقني فـي حمـل هذه

المسئولية وأسأله أن يجعلها سعيدة معي وأسأله أن يجعلنا للمتقين إماما .. ثم أبكي من جديد بحرقة وأقول ياالله لا تجعلها عقوبة لي في الدنيا على ذنب قد فعلته بل اجعلها خير متاع الدنيا وأن تكون عونا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري، وهكذا حتى لم يبقى في قلبي شيء أقوله استقرت عواطفي وتوقف الدمع عن الفيضان وأحسست براحة لا توصف وسعادة غامرة، أذّن المؤذن لصلاة العشاء وأنا في طريقي إلى عمي فتوقفت للصلاة ومن ثم أكملت المسيرة وتناقشنا بالمهر وأيسر علي كثيرا أيسر الله عليه في الدنيا والآخرة وعلى كل شخص ييسر على شباب الإسلام.

للأسف كثير من الرجال هذه الأيام يحسبون أن زواج بناتهم صفقة يجب أن تبرم بحذر شديد وكثير ما سمعت قصص من أصدقائي عندما تقدموا لخطبة بعض الفتيات تشيب لها الرؤوس وحمدت الله أني لم أكن في محلهم لأني لو كنت محلهم لما خرجت إلا بشجار مع والد الفتاة، مثال ذلك أحد أصدقائي الذي ذهب لخطبة فتاة فبدأ أبوها يسأله عن راتبه وعن مدخراته وعن ما إذا كان يملك بيتا في الوطن أم لا "نظرات مادية بحتة" يا شباب إن كان حموك مادي لهذه الدرجة قل له أن يخلل بنته في وعاء ما لأنها ستعنس مظلومة بسبب جشعه وطمعه أو جهله الذي جعله يظن أن رفع المهر على الشاب سيجعله يقدر زوجته لأنه دفع عليها الكثير وهذا كلام فارغ لا يقتنع به إلا جاهل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "

ذا أتاكم من ترضون خلقه و دينه فزوجوه ، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد عريض" (٩)، فما قول الرجال في هذا الحديث ما توقعه الرسول حاصل في زماننا هذا ونراه بأم أعيننا "فتنة في الأرض وفساد عريض" كله برقبتكم يا من ترفعون المهور يا من يأتيكم صاحب الخلق والدين فترفضوه إما لأن ليس له نسب عزيز أو لأنه فقير وعد الله بإغنائه أو لا يملك جمال يليق بملكة الجمال التي عندكم ... لا أدري ولكنكم ستحاسبون، ويزيدني قهرا أولئك الذين يتحججون بحجة الدراسة وأن الفتاة تريد أن تكمل دراستها و أكثر أولئك الطغاة ظلما .. آباء يعمل بناتهن فيأخذن رواتبهن ولا يزوجوهن لكي لا يذهب الراتب إلى أزواجهن أو يصرف على عائلاتهن، لا أملك إلا أن أقول عليهم من الله ما يستحقوا وهداهم الله.

وفي ذلك اليوم أعطيت عمي كتابا عن الزواج عنوانه (الزواج السعيد) [١٠] كنت قد أنهيته في الأسبوع الفائت وقد تلقيت الكثير من السخرية من معارفي عندما كانوا يرونني أقرأه ولكني لم أرى أنا إلا أنه سبب في توفيق الله عز وجل لي في زواجي وأنصح الجميع بأن يقرأ بقدر الإمكان عن الزواج قبل الخوض فيه من غير علم ولا يعتقد أحدكم أن الموضوع سهل لأن نسب الطلاق في المجتمعات الإسلامية تبرز للعيان وجود فجوة كبيرة بالنسبة للوعي بالحياة

---

[٩] حديث حسن، صحيح الجامع صفحة أو رقم ٢٧٠

[١٠] الزواج السعيد في ظل المودة والرحمة – للشيخ محمد زكريا المسعود (العبيكان)

الزوجية ومسؤولياتها، يستطيع معظم المسلمين تطبيق قاعدة بسيطة لتنخفض معدل الطلاق مع السنة الأولى من التطبيق إلى النصف وهذه القاعدة تنص على "من عرف ماله وما عليه كان جديرا بألا يتجاوز حقه ولا يقصر في حق غيره"

شعرت في ذلك اليوم أني كالطفل ببراءته وفي خوفه وعلى كل حال فالزوج يصبح طفلا عندما يدخل إلى بيته عندما يبتعد عن الحياة الحقيقة وعن حياة العمل والأصدقاء يدخل البيت ليعايش حياة خيالية يشعر بها بأنه طفل صغير وضعيف يبحث عن الحنان كأم تبحث عن طفلها الضائع في سوق كبير وهذه حقيقة سيعاني من يخالفها أو ينكرها سواءا كان رجلا أم امرأة، فالذكر كان يتجرع الحنان من أمه عندما كان رضيعا وآلمه كثيرا فِراق الفِطام الظالم فتكونت عنده فجوة ثم اتسعت هذه الفجوة مع انصراف اهتمام الأم لإخوته الآخرين أو لبعد أمه عنه بسبب عمره وأخذت بالاتساع أكثر حينما تغرّب حتى أصبح الهواء يمر من خلاله وتدارك أنه بحاجة إلى بديل عاطفي عن أمه يحنو عليه ويبكي كالطفل بين يديه يبحث عن أنثى تستطيع أن تسحب شحناته السلبية وتضع مكانها أخرى إيجابية، لأنه هذا الطفل الذي يعيش بداخل كل رجل يستيقظ من وقت لآخر وبالذات عندما يكون الرجل متوترا من ضغوطات الحياة ومسؤولياتها وهو في هذه الأوقات يحتاج من زوجته أن تكون أمًا بكلماتها ولمساتها وعناقها ولا تستغربوا إن أخبرتكم أن الرجل يغار من ابنه عندما يراه يأخذ كل حنان

زوجتـه ويتمنـى فـي بعـض الأحيـان أن يكـون مكـان طفلـه ليحظى بكل تلك العواطف الجياشة، وكلما ازداد عمر الرجل كانت حاجته للحنان أكثر، ألا تلاحظوا أن كبار السن شديدي الحساسية وقد تبكيهم أبسط الأسباب!!

حاجة المرأة إلى الرجل وحاجة الرجل إلى المرأة لا تنقضـي حتـى ينقضـي الأجـل.

كم كانت دموع خال أبي حزينة لقد تقطع قلبـي حينمـا رأيتـه آخـر مـرة، كنـا فـي زيـارة لـه وكـان "باركـا" أي يعجـز عـن المشـي بعد أن قطعت قدمـه بسبب مـرض السـكر، لقد فـرح كثيـرا برؤيتنـا ولـم يكـن لديـه أولاد فقد كانـت دموعـه مـزيج فرح وحزن، فرح على قدومنا وحزن على حاله، كلامه غير مفهوم وثقيل جدا ولكن لسانه حاله يقول : ربي أخرجي من سجن الدنيا .. لقد تمالكت نفسـي بصـعوبة فـي تلـك الزيـارة ولكنـي خرجت من بيتهم قبل خـروج الجميـع واختبـأت خلـف البناء وبكيت بحرقة لأنـي شـعرت بأنهـا المـرة الأخيـرة التـي سأراه فيها، وما خاب ظنـي إذ تـوفي بعـد فتـرة قريبـة وكانـت تلـك الزيـارة هـي آخـر مـرة رأيتـه بهـا، تتعـدد المواقـف الـذي يخـرج بهـا الطفـل الـذي بـداخلنا إلـى العلـن ولا أدري لمـاذا نحـاول أن نخفيـه وننكـر حقيقـة وجـوده.

الوقـوع بالحب شيء لا إرادي ولا يسـتطيع المـرء التحكم بـه ولكنه وبكل بساطة سيجد نفسه فجأة واقع به ويجد قلبه أسيرا بين يديـه ، الحـب لـه مقدمات كتبـادل النظـرات ولـه مسببات

كاصطناع المصادفات وكثير من الناس يقع دون أن يدري أنه يغرق في مستنقع الحب، للحب أيضا علامات ومنها:

أن تفكر في هذا الشخص كثيرا في أوقات متقطعة من النهار وتجد نفسك مع الوقت تبحث عما يحبه لتحبه وعما يكره لتكرهه فتتخلى عن الكثير من الأشياء المهمة في حياتك وتتبنى الكثير من الأشياء التي تكرها في ماضيك في سبيل إرضائه.

تتبسم كلما تذكرته أو ذكر اسمه شخص ما.

حينما تكون معه يمضي الوقت مسرعا فتتمناه أن يتجمد إلى الأبد وعندما يحين موعد الفراق ستختار البقاء معه وإن فارقته أحسست بأن الوقت يمضي ببطء شديد.

كلما تراه ستشعر بشيء غريب في قلبك كشعور التأرجح على الأرجوحة والهبوط بها من أعلى مستوى .. تتزايد دقات قلبك وتحس أنه سيقفز خارج جسدك ليستقر بين يديه.

عندما تشعر بأن الحياة أصبحت بطعم آخر وتشعر بأنها امتلأت بالألوان بعد أن كانت سوداء وتشعر بأنك حي لأجل سعادته فاعلم أنك متيم به، عندما يقل معدل نومك فاعلم أنك ولهان به، عندما تدرس تحركاته اليومية وتخترع الصدف لرؤيته فاعلم أنك هيمان بحبه، وعندما تمضي الساعات

برفقته وأنت لا تتحدث وتكتفي بالنظر إلى عيونه فاعلم أنك ميت فيه وعندما يتحرر قلمك بإطلاق الإبداعات الأدبية والخواطر النثرية والرسائل الغرامية فهذا دليل آخر على حبك له، وعندما تجد أنك تؤثره على نفسك فأنت حتما تحبه.

إن انطويت على نفسك وانشغل خيالك به ترى به الماضي والحاضر والمستقبل و تشعر بطاقات غريبة تغذي حياتك وتقلبها رأسا على عقب فأنت تحبه، و عندما تنقطع أنفاسك لرؤيته وتصبح تتحدث عنه عندما تكون مع أصدقائك أو في العمل فاعلم انك تحبه لأن المرء لا يكثر ذكر إلا من يحب.

تود سماع صوته كل يوم وتطلب منه باستمرار أن لا يفارقك ويتركك وحيدا ولا تستغرب أبدا إن كنت تشعر بلذة وألم في وقت واحد، اللذة في سماع هذه الكلمة من شفاه حبيبك والألم حينما تتنهد شوقا لضمه بين يديك.

تجد نفسك تعاف كل نساء الأرض ولا ترى أجمل من حبيبك خَلقا وخُلقا يمكنك أن تعرف من هذه العلامة بأنك وصلت إلى أعلى درجات الحب فقوة الحب أعمت عيونك عن رؤية نقائصه وعيوبه لدرجة انك تشعر بأنه أكمل الناس.

عندما تشعر بأنك أوفر الناس حظا لأنك متجه لرؤيته، متجه لمن هو بانتظارك متجه لمن كان يفكر فيك طوال اليوم فأنت تحبه، عندما تدمن قول كلمة "أحبك" وتدمن بالمقابل

سماعها فأنت تحبه.

عندما يستوطن الآخر عقلك الباطن فهذا يعني أنك متيم مهووس بحبه ..

في أحد الأيام عندما طلبت مني حبيبتي أن لا أتصل بها لانشغالها في التحضير لامتحاناتها، لم أملك الخيار لأرفض، فوافقت مكرها لا بطل وفي تلك الليلة تقلبت كثير وحلمت بها رغم أني قليل الحلم ومن ثم حلمت أني أحدثها فاستيقظت من النوم لأكتشف أنه حلم ومرة ثالثة حلمت أنها أرسلت لي رسالة فاستيقظت من النوم وأمسكت بهاتفي فلم أجد شيئا وكانت ليلتي تلك ككثير من الليالي ممتلئة بالهواجس التي استيقظ وأنام بسببها أكثر من أربعة مرات ..

بعد ذكري لمقدمات ومسببات وعلامات الحب فأود أن أنوه إلى أن هناك أيضا خاتمات فلنحذر كل الحذر من أن نبدأ بمقدمات الحب إن لم نكن قادرين على صنع خاتمته، وهذا يذكرني بصديق لي أحب فتاة وأحبته لخمس سنوات عبر الإنترنت أحبها حتى دون أن يعرف شكلها، وعندما أصبح كلاهما مستعد للزواج اصطدم كل منهم برفض الأهل من الطرفين فكانت خاتمة قصة حبهم مأساوية وكان ألم قلبهم بالفراق قاسيا. الحب مارد كبيـــر إما أن يسحقنا أو يرفعنا.

منذ أن يـألف الرجـل المـرأة فـي اللقـاء الأول تبـدأ المـودَّة فـي الظـهور ويكون الحب في هذه اللحظـات بـذرة تحت الأرض تشرب من عواطف هذين الإنسـانين، فتنفلق هـذه البـذرة مـع الوقت وتصارع التراب حتـى تـرى ورقتهـا الأولـى الشـمس، فترتفـع الأرض قلـيلا وتتشـقق التربـة حينمـا يبـدأ الخطيبـين بتبـادل المشـاعر والتلميحـات وإظهـار الاهتمـام كـل مـنهم بالآخر ومع الأيام يبدأ كل منهما بالتنهد وبالتفكير والسرحان لأوقـات طويلـة وهـذه أيـام ورديـة لكـل مـنهم لا أعنـي أنهـم يتوهمون ولكنـي أعنـي أنهـا مـن أجمـل الأيـام فتتلـون حيـاتهم بـاللون الـوردي "لـون الرومانسـية الأنثـوي" وتغلـب علـيهم السعادة في معظم الوقت، وبعد انبثاق هذه النبتـة يقـع الحـب، وكلما كبر الحب تكبر معه هذه النبتة، فإمـا أن تثمـر الشـجرة بعد أن يتم الزواج وإمـا أن تتسـاقط أوراقهـا وتمـوت صـغيرة إن كان الحب أعوجا أو أن تموت بعد عطاء طويل، الشـجرة التـــي ماتـــت صـــغيرة تنســـى أم الأخـــرى فتبقـــى ذكـــرى.

في غالب الأحيان من الطبيعي أن يكون الرجـل هـو المبـادر الأول فـي البـوح بهـذه الكلمـة وقولهـا لـيس بـالأمر السـهل فالرجل العاقل صاحب الضمير لا يقولها لفتاة إلا إن تأكد أن خواتيم الحب ستكون سعيدة وأنه سيكون لها زوجا لأن بوحه بهذه الكلمة تحديدا يكون كالنذر ، فإذا استطاع الرجل تحرير قيد لسانه وسمح له بأن ينطق بهذه الحروف الثقيلة (أ – ح – ب – ك) وأنوه على نطقها بالذات فكتابتها على ورقة أو فـي رسـالة أو فـي بريـد إلكترونـي أمـر سـهل ولكـن نطقهـا مـن

اللسان هو الأمر الأصعب، وبعد كثير من التنهد والتلعثم والتردد والسكوت الطويل تخرج هذه الكلمة بحروف متصلة وبصوت منخفض مرتجف (أحبك) وفي هذه اللحظة تنبثق شتلة شجرة الحب لترى النور لأول المرة وتبدأ جذورها بالامتداد في الأرض لتثبت نفسها في وجه رياح الاختلاف وميكروبات الحساد وطفيليات الشيطان وتستمر بالنمو شيئا فشيئا وتشتد ساقها وتكبر أوراقها وتزهر وتثمر بإذن الله والثمار تحتوي في مكنونها على بذور حب أخرى تقع على الأرض ليغمرها التراب ولتنام في سبات طويل حتى يأتي قدرها فتسقى من نبع انفجر من التقاء عاطفتين.

وأما الزوجان فيكبران معا ويعيشان الحلوة والمرة ولا يتمنى أحدهم أن يفارق الآخر ولكن الموت يفرقهم وتبدأ هذه النبتة الجميلة التي كانت تقف بوجه أي شيء بالذبول شيئا فشيئا حتى تموت هي الأخرى وتترك الدور للبذور التي سقطت منها ليخوضوا بدورهم نفس الدور وهذه سنة الحياة.

بعد خروج هذه الكلمة من الرجل تبدأ الأنثى هي الأخرى بالمحاولة بصعوبة ولكنها ستبوح بها بالنهاية .. يوما ما ستبوح بها، عندما يسمع الرجل هذه الكلمة لأول مرة من الفتاة ويحس بصدق ودفئ مشاعرها اتجاهه يطير من الفرحة ويمتلئ قوة ونشاطا وكأنه أشبع جانبا فطريا فيه كان كالناقوس يدق منذ سنين دون أن يسمعه أحد ..

هكذا بدأت قصة كل بنو آدم بكلمة أحبك وهكذا حافظ ابن آدم على نسله وكأني أرى أن هذه الكلمة هي سر من أسرار الحياة البشرية .. وأما عن وقت البوح بها فليس هناك من وقت وليس بالضرورة أن تكون بعد كتب الكتاب "عقد النكاح" كما يظن البعض ولكن أن تقولها بعد عقد نكاحك فهذا حتما أفضل، أما أنا فلم أستطع الصبر إلى يوم عقد النكاح لأني أحسست بحرارة مشاعر متبادلة وأحسست بالتيسير المطلق من الله وتفاءلت بأن كل شيء سيمضي على خير ما يرام .. فبحت لها بحبي وسمعت بوحها في نفس اليوم فطرت من الفرح..

ولهذا أتذكر التحذيرات التي سمعتها من بعض الناس أن لا تبوح بعواطفك في أيام الخطوبة واكتفي بإبداء الإعجاب وهم بذلك يعلنون أن الخطوبة لها سقف من المشاعر ينبغي أن لا يتعداه كل من الرجل والمرأة وإن فعل فيجب عليه الانتقال سريعا إلى مرحلة العقد، ولهذا كنت أعرف قدرة نفسي فطلبت أن تكون مدة الخطوبة حتى عقد النكاح شهرا واحداً، ليس لأني أقع بالحب بسهولة ولكني إن وقعت شابهت صخرة تسقط من جبل شاهق وقد شعرت باختلال توازني على قمة هذا الجبل من الزيارة الأولى.

كلمة أحبك تتدرج بتأثيرها على كل طرف بحسب موقعها فهي تبدأ قوية حينما تكتب برسالة أو على ورقة أو كرسالة نصية بالجوال ويكون وقعها أقوى حينما تسمع صوتا

ويكون صداها أعلى حينما يكون المتحابان مواجهان وجها لوجه، وكم هي جميلة حينما يكونا على سرير واحد فتهمس هذه الكلمة في أذن الآخر الذي يشعر بالأنفاس تجري على أذنه وماذا عن قولها بعد العناق بكلتا اليدين!! حالات كثيرة التي تستدعي قول هذه الكلمة التي أشعر أحيانا أن المرء لا يعيش إلا لسماعها..

توجهت في أحد الأيام إلى بيت عمي لألبي دعوة العشاء وعند حضور العشاء أفحموني بالتنوع وبالذات بطبق قل ما يحضره السوريون بسبب صعوبة صنعه، وهي "الحفاتي والأبوات"[١١] بلهجة أهل دمشق .. تمنيت في تلك اللحظة أن ينطبق المثل القائل "طب الجرة على تمها بتطلع البنت لأمها" وهو يعني أنه مهما دار الزمان ستكون البنت نسخة عن أمها في كل شيء.
كعادتها تقى لم تأكل شيئا في تلك الليلة وعذر اليوم أن بطنها يؤلمها، في ذلك اليوم حدث ما لم أكن أتوقعه .. حدث بيننا الخلاف الأول .. رغم تيقني بأن الخلافات حاصلة حاصلة لا محالة اصطدمت وبدأت الحياة الوردية التي يصورها الحب تتلون بشيء من الواقعية رغم أن الخلاف بسيط يظن كلا من الطرفين ظن سوء بالآخر لأن يضع نفسه في مرتبة الأحق بأن يلبى طلبه أو على الأقل أن يكون التبرير مقنعا إن لم يتم تلبيته ..

---

[١١] طبق سوري : أمعاء الخراف المنظفة جيدا، يتم حشيها بالرز واللحم ومن ثم طبخها، أهل مدينة حماة يسمونها بالسخاتير وتتعدد الأسماء.

كنت في ذلك اليوم متلهف بفضول أن أراها تضع النظارات عندما اكتشفت مؤخرا أن لديها ضعف نظر وهي لا تريد أن تضعها ظننا منها أن ستصبح بشعة في نظري وأنا أبيت إلا أن أراها وتدخل والدها فوضعتها بالنهاية رافعة العتب فقط ولم تنظر في عيناي عندما وضعتها ولم تطيل مدة وضعها .. فور خروجي ذلك اليوم أرسلت لها رسالة أعبر فيها عن انزعاجي من تصرفها .. وهي ردت بنفس الشيء ونمنا ذلك اليوم دون أن نحدث بعضنا كما جرت العادة وفي صباح اليوم التالي اكتشف كل منا أننا نمنا ونحن مكسوري الخاطر كل منا مهموم لأنه سبب الحزن للآخر وطلبت مني السماح فقلت لها أني قد سامحتها من الأمس وكيف لا يكون هناك تسامح بين المحبين؟ أين هو الحب إذا؟ نسق والدها بحركة ذكية لقاءا لنا في أحد الأسواق ولم أكذب خبرا ولبيت الدعوة وذهبت إليهم وهناك أعطتني هدية يتعلق بها ورقة وردية يبدوا بأنها رسالة .. وأصرت أن لا أفتح أي شيء إلا في المنزل فلبيتها في ذلك وكان أهم أحداث ذلك اليوم أني سمعت منها كلمت أحبك.

وقالتها أخيرا قبل موعد كتب الكتاب بأربعة أيام وحررت قلبي الأسير المقيد بسلاسل ضخمة مفتاحها كلمة تخرج بنبرة مميزة من حنجرتها الصغيرة، اتفقت ذاك اليوم مع والدها على أن نلتقي في السوق وبعد اللقاء كان أهلها يقتنصون الفرص ليتركونا لوحدنا لأننا ألسنتنا كانت تنعقد إن كانوا حولنا وبالذات إن كانوا قريبين، في هذه اللحظات

كنت أستغل الفرصة وأردد لها أحبك .. أحبك لعلها تردها لي بالمقابل ولكن احمرار وجنتها كان كافيا ليعبر عن عدم قدرتها على نطقها و كم أضحكتني عندما اقترب والدها منا فقالت لي بخلسة وخوف: اقترب أبي اقترب أبي فقلت لها وهل نقوم بفعل خاطئ .. أم أني أقبلك وتريدي تنبيهي أم ماذا .. وفعلت نفس الشيء معها عندما اقتربت أمها فقلت اقتربت أمك اقتربت أمك فأخذت هي بالضحك هذه المرة وبهذا أرى أسلوبا تربويا رائعا يتجسد في تقليد أي تصرف كان سيئًا أو جيدًا لتشعر الطرف الآخر بوقع تصرفه على النفس، فإن كان جيدا كرَّرَه وإن كان سيئًا حاول أن لا يكرره مرة أخرى احترام لشعور شريكه.

بعد بضعة محاولات مني وتكرار كلمة أحبك لها كانت تنظر إلى الطاولة مطأطئة الرأس يكبحها الحياء والخجل وقالت لي وأنا أيضا .. ثم تصمت فأقول لها أحبك فتقول مجددا وأنا أيضا .. ثم تصمت فأقول لها أحبك ولكن كانت المرة الثالثة حاسمة حينما قالت : وأنا أيضا أحبك .. لا أظن أني كنت بحياتي منصت بكل حواسي أكثر من هذه اللحظة ..

تحررت القيود وأردت السجود شكرا للواحد المعبود وكأني أنتظر هذه الكلمة منذ عقود وحظيت بها بفضل الحميد بعد صبر مديد و إرادة من حديد .. سمعتها أخيرا **"بالحلال"**.



الفصل السابع: رسائل الحب

هي مرحلة غرامية يعيش فيها كلٌّ من العروسين يبدأ كل منهما بالتعبير بطلاقة مستخدما القلم الورقة لا يمنعه حاجز الخجل كما كان يمنعه عندما كان يواجه حبيبه وجها لوجه أو عندما يسمع صوته، فينطلق بقلمه ليبدع به كلمات أديبة لا تخرج إلا من قلب عاشق .. يستعين بالقواميس العربية ليطف على رسائله لمسة أدبية، هكذا يفعل الجميع ولكن إياكم أن تسرقوا أفكارا وتعبيرا من رسائل أشخاص آخرين لأنكم إن فعلتم ذلك فاعلموا أنكم لا تحبون من كل قلبكم وإن عجزتم عن الكتابة فاعلموا أن هناك مشكلة، لأنه لا يوجد أحد لا يمكنه أن يقدم نوعا من هذه الرسائل كتابية كانت أو لفظية حتى ولو كان أميّاً وهو بسرقته لأعمال آخرين يشكل عاطفة زائفة من السهل أن تذهب مع الريح في أي لحظة لأنها لم تبنى على صدق المشاعر والعواطف، وغالبا ما تكون هذه الرسائل بين الخطيبين على شكل صد ورد فهو يكتب فترد عليه وهي تكتب فيرد عليها .. إلى ما شاء الله.
كنا قد اتفقنا يوم التلبيس بأن نبدأ بالكتابة لبعضنا، فإذا كان الزواج مراحل فلكل مرحلة من المراحل طعمها الخاص، واللحظات التي يعيشها الخطيبان بين سطور وكلمات وحروف رسائل الحب التي يتبادلونها تشابه قطرات ماء تبخرت من البحر وحلقت إلى السماء ومن ثم اندمجت لتشكل غيوما و هطلت من جديد كدورات حياة قصيرة لا

تنتهي، يتمنى بها المرء أن يبقى إلى الأبد دون أن يتقدم إلى مراحــل أخــرى.

عـادة مـا تكـون الرسـائل بـين المتباعـدين أكثـر منهـا بـين المتقاربين ومع وسائل التكنولوجيا المتوفرة حديثا ومع تغير هذا الجيل إلى حب ما هو سريع وحب الجاهز فاضمحل هذا الجانب من العلاقات العاطفية واقترب من الانقراض فعلى محبي القديم النديم وعلى الكلاسيكيين أن يحيوه من جديد .. هذا ما لحظته في علاقتنا في الهواتف اليومية التي كانت بيننا والتي كان متوسطها في اليوم يتجاوز الساعة فلم يعد هناك فيض من المشاعر ليتجسد في حبر على ورق فكانت الرســـــائل قليلـــــــة.

رسالة المهر:

كانت أول رسالة كتبتها عندما حدد عمي لي المهر وضعته في مغلف بريدي أبيض وأرفقته معه رسالة لعمي ورسالة لخطيبتي بخط يدي على ورقة وردية "لونها المفضل" ، أنصح كل رجل أن يخط مثلها لخطيبته عندما يعطيها مهرها كـــان نصـــها:

"بســـــــــــم الله الـــــــــــــــرحمن الـــــــــــــــرحيم
خطيبتي تقى كان لي الشرف اليوم أن أعطي أهلك المهر الذي اتفقنا عليه آنفا، وددت أن أرفق بعضا من الكلمات لكي: إن المهر ليس أداة قياس تقاس بها المرأة أو تسعر بها

كما يظن البعض، ولو كان ذلك صحيح لما استطعت جمع مهرك ما حييت لأنك كامرأة صالحة إن شاء الله (وصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم) لا تقدري بثمن. فلا تفرحي بمهرك وتفاخري به أمام الناس إن كان كثيرا. ولا تحزني وتخجلي من ذكره إن كان قليلا بنظرك. ولتفخري دائما بأن الله قد رزقك ببعل صالح إن شاء الله، سيقدر على حمل الأمانة التي استودعها والدك عنده .. أسأل الله العلي القدير أن أكون عند حسن ظنكم بي، وأسأله أن يتمم لنا على خير وأن يرزقنا زينة الحياة الدنيا ويثبتنا على دينه ويجعلنا للمتقين إماما. زوجك إن شاء الله

الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم .. خطيبتي تقى هي هكذا البدايات تكون دائما صعبة ولكن كل شيء بعدها يهون إن شاء الله، لا أخفي عليك أن كثيرا من الأوراق تراكمت أمامي لكوني كنت أكتب ثم أغير رأي ثم أكتب ثم أغير رأي من جديد احترما للرسالة الأولى، ولكن كم هو جميل أن يترك الشخص المسئولية لعواطفه لتنسج بالقلم بعضا من التطريزات الرقيقة ، فهذا قلمي الأزرق والورقة الوردية جمعتهم كالنقيضان فلون تكريه والآخر تحبيه ..

كان مزجهم لغاية في نفسي و لربما كان لهذا المزج وقع خاص على عينيك ..

خطيبتي تقى لقد أضناني الشوق وعذبني كبت المشاعر وأتعبني الانتظار .. انتظار الوقت الذي تصبحين فيه لي زوجة على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأصبح أناديك بزوجتي بدلا من خطيبتي وأتغزل بكل شيء بك كما يحلو لي، أتعبني الانتظار لأني أحس أن الوقت يتآمر علي بطريقة غريبة فعندما أكون معك يمضي بسرعة ولا يعطيني أي اعتبار وعندما أعود وحيدا يطول كثيرا. خطيبتي تقى، ألفتك روحي منذ اللقاء الأول وأحسست وكأني أعرفك وشاء الله أن تكوني أجمل امرأة في عيناي ولو أجمع كل سكان المعمورة على عكس ذلك فلن أهتم وكل يوم أدعوا ربي أن يزيد حبك في قلبي ويزيدك جمالا في عيني وأن يتمم لنا على خير، واعذريني إن خانني التعبير ولم أكتب الكثير مع أني أؤمن أن كلمات الحب تتدفق من نبع لا ينضب، بالأمس بحت لكي بحبي، بالأمس وضعت حجر الأساس وبالأمس طرقت باب قلبك وبحثت عن مكان لي فوجدت غرفة مغلقة خصصت لزوج المستقبل فطرقت الباب وها أنا أنتظر الجواب. خطيبك .. الثالثة والنصف عصر يوم الثلاثاء ، ٢٠ ربيع الأول لعام ١٤٣٠ للهجرة

رسالتها الأولى:

كانـت تقـى قـد كتبـت رسـالتها قبلـي بيـوم وعنـدما وصـلتني رسالتها كنت أنا قد انتهيت من رسـالتي ويبـدوا بأنهـا قـرأت أفكاري وأجابت على رسالتي دون أن تقرأها:

" ها قد أتــى"
ها قد أتــى من غير لي حياتي كلها .. قد أتــى من أثق به تلك الثقة العمياء
ها قد أتــى من ينصحني ويساعدني قد أتــى من يمسح لي دمعتي
ها قد أتــى من يستمع إلى همومي ومشاكلي .. قد أتــى من يتحمل أعبائي ونفقتي
ها قد أتــى من يعطيني ذلك الحب الصادق الذي لطالما انتظرته ..
ها قد أتــى من يعطيني القوة والثقة بالنفس ..
ها قد أتــى من غير لي طريقة تفكيري وكلامي...
ها قد أتــى من يعطيني الدفء والحنان .. ...؛
ها قد أتــى من كنت انتظره منذ زمن بعيد......؛
وهاهو قد أتــى........؛
كنت قد عاهدت نفسي من قبل أن انتظر الحب حتى يأتي لا أن أبحث عنه
أن انتظر شخصا بقوته وشخصيته ورجولته يحمل بين أضلاعه وعضلاته ذالك القلب الصغير، يحمل الكثير من الحب هذا يحبني قلبه
إن صدق ذاك الحب النابع من ذلك القلب فسأبادله بنفس

المشاعر إن لم يكن أكثر
لكن .. كان هو أسبق مني في التعبير عن ما في نفسه من كلمات رقيقة
لكن المعنى واحد حينها علمت أن كلانا يريد ذالك الحب بل محتاج له
والحمد لله الذي جمعنا على خير وبالحلال مع بعضنا
أقصد جمع قلبينا الصغيرين الذي يحتاج كل منهما لحب القلب الآخر
وأرجو من الله جل وعلا أن أكون قادرة تحمل المسؤولية في هذه المرحلة الجديدة في حياتي
وأن أستطيع أن أوفر له كل حاجاته ومتطلباته كزوج وكحبيب معا
مازلنا في أول الطريق فاسأل لله أن يتمم لنا على خير وأن أكون عند حسن ظنه
خطيبتك

رسالتي الثانية:

بســــــــــم الله الـــــــــــــرحمن الـــــــــــــــرحيم
خطيبتـــــــــــي تقـــــــــى .. . شـــــــــكرا لكـــــــــــي
لقد فتح قلبك الصغير باب تلك الحجرة على مصراعيه معلنا ترحيبه وتأهيله بي كضيف ومن ثم طلب مني الإقامة الدائمة !!
فما رفضت البتة وكان هذا من دواعي سروري فأرجوا من

الله أن لا أكـــــــــــــون ضـــــــــــــيفا ثقـــــــــــــيلا.
تـداعبني العواطـف وتـدفعني لأطـلـق العنـان لقلمـي فأكبحهـا بقبضـــتي فتنفلـــت ثـــم أكبحهـــا مـــرة أخـــرى فتنفلـــت، لربما استطعت أن أكابد شهوتي من قبل ضد الحرام ولكنـي الآن لا أستطيع مكابدتها لما هو حلال .. أحـبـك من أعماق قلبي، ألا يحق لي أن أتغزل بكي ؟! يـا ربـي لك الحمد علـى هذه الهبة التي انتظرتها منذ سنين .. أقولها كل يوم منذ لقائنـا الأول.
خطيبتـــــــــــــــــــــــــــي تقـــــــــــــــــــــــــــى.
إن كنـت أسـكن قلبـك فأنـت فـي حواسـي الخمسـة تسـكني ، فـي مسـمعي اسـمك يتـردد مـن صـدى نفسـي المتشـوقة ، وفـــي لمســـي لكـــل نـــاعم ذكـــرى لأنوثتـــك الغامضـــة، وفـــــي مـــــرآي لا أرى إلا عيونـــــك الســـــاحرة، وفـــــي اللســـــان أتـــــذوق مـــــرارة البعـــــد القاتلـــــة، وأنفـي يلـتمس شـذاك وتـاهـت مـن بعـدهم حاسـتي السادسـة .. المخلـــــــــص لكـــــــــي، خطيبـــــــــك وحبيبـــــــــك.

رسالتي الثالثة:

بســــــــم الله الـــــــــرحمن الـــــــــرحيم
خطيبتـــــــــي تقـــــــى .. . كـــــــوني لـــــــي عونـــــــا بالكـاد أنـا ملتـزم و أدعـوا الله الثبـات وأسـأله قلبـا منـتظم، لا يتـــأثر بالمغريـــات وعـــن هـــوى الـــنفس منصـــرم.
غريـــــب بـــــالتزامي وحيـــــد الـــــدرب منهـــــزم

اخترتك لتكوني معي في كل وقت فتنسيني وحشة الغربتين غربـــــة الــــــوطن وغربـــــة الاخـــــتلاف
وطوبى للغرباء كان وعدا من رب السماء المؤخر والمقدم.
أسـأل ربـي دائمـا أن يجعـل حبيبـي بمعنـى اسـمه متسـم.
محلـــك ومحـــل التقـــوى فـــي قلبـــي محفـــوظ لا ينعـــدم.
فكوني لـي عونـا بالدنيا وللآخرة لعل أعمالنـا بـالخير تختم.
وكـوني لـي عونـا لأحفظ القرآن وأعمل بـه ولآياتـه متـدبر منســـجم.
وكـــوني لـــي عونـــا لنربـــي جـــيلا فاتحـــا لا يهـــاب المـــوت كالمعتصـــم.
في حب الله ورسوله وعلى حب الصحابة والسلف الصالح يـــنفطم.
بالنهاية عذرا عن لساني الساكت عن كل شيء إلا عن الحب لا ينكتم أحبك الآن وفـي رجولتي وحين ما أصبح عجوزا هـــرم.
هـذا مـا اسـتطعت نثـره ومـا فـي جعبتـي مـن جوامـع الكلـم.
زوجك إن شاء الله – المهند

- انقطـــــــــــــاع عـــــــــــــن التراســـــــــــــل ..
كنت أنتظر منها أن ترد برسالة، بحيث يكون التراسل علـى شكل صد ورد ولكن ليس كل مـا يتمنـاه المـرء يدركـه وكنـت أحدثها لمـاذا لا تكتبين لـي فقالت لـي مهند أنت أفضـل منـي بكثيـر فأنـت قـرأت كثيـرا وتعـرف كيـف تكتـب أمـا أنـا فـلا أعرف شيئا ... فقلت لهـا إن كـلام الحـب والمشـاعر لا يقيّم

كما يقيّم كلام الشاعر وما يخرج من القلب يدخل إلى القلب. تبقى صدى جملتها "مهند أنت أفضل مني" يتردى في جمجمتي حتى حدثتها ذات يوم عن نفسي عندما كنت بعمرها .. قلت لها أنت تنظرين إلي الآن ولكن هل فكرتي أن تنظري لي عندما كنت بعمرك ؟ فقالت لي ماذا تعني، قلت لها تقى عندما كنت بعمرك كنت أستعين بأحد ما ليكتب لي ما أريد وكنت لم أقرأ بعد أي كتاب منذ ولدت فهذا لا يعني حتمية بقائي على نفس الوتيرة إلى آخر حياتي فقدت بدأت بالقراءة وبدأت شخصيتي وتفكري يتغيران مع كل كتاب أنهيه، لقد كان لكل كتاب بصمة خاصة علي، فأرجوا أن تبدئي بالقراءة وسأساعدك في ذلك، فإن وجدنا أنفسنا بالمستقبل القريب أو البعيد بعيدين أشد البعد عن ما ننوي تحقيقه يجب أن نساعد بعضنا ونحفز بعضا معنويا وماديا حتى ولو قلت لكي أريد أن أصل إلى القمر فقولي لي نعم تستطيع ولنعمل معا على ذلك حتى أصل له وأنا أعدك بنفس الأمر، ولم أكذب خبرا فبمجرد أني عرفت بأن لديها موهبة في الرسم، اشتريت لها مرسما ووضعته في غرفتي حتى أنقله لاحقا عندما نتقل إلى بيت جديد.

أفراح وأحزان: كلمات خططتها على ظهر تقرير فحص عينة من دمي لأجل التبرع بالدم لصديق لي في حالة لا تتمناها للأعداء، أعطوني هذا التقرير ليخبروني أن نسبة كريات الدم البيضاء عالية عندي ولا أستطيع التبرع فامتزج فرح العطاء بحزن عدم الموافقة على سحب دمي.

أفـراح وأتـراح .. هـي هكـذا الحيـاة، كنـت منـذ أسـبوع قـد خططت لتلبية دعوة عشاء من بيت أهل زوجتـي ولكن قبل يـومين مـن الموعـد رن هـاتفي حـاملا معـه نوعـا مـن أسـرع الأخبار انتقـالا " الخبـر السيئ" مشيعا لـي خبـر حـادث وقـع لصـديقي وأنـه بحاجـة إلـى عمليـة مسـتعجلة، فاعتـذرت مـن عمـي وخطيبتـي وأخبرتهم أنـي بـنفس اليـوم يجـب أن أذهـب إلـــــى صـــــديقي لعيادتـــــه قبـــــل دخـــــول العمليـــــة.

شـددنا الرحـال مـن الريـاض إلـى الخبـر ونحـن نفكـر معظـم الوقت فـي مدى الضـرر الحاصـل لصـديقنا لأنـه قد اصـطدم بشــاحنة مـــن الخلـــف علـــى ســـرعة تنـــاطح المائـــة.

أفراح و أحزان عندما تتصادم مع بعضها بنفس اليوم يصاب الإنســان بانفصــام عــاطفي، فـرح بحبيبـي حـزين لصـديقي أتـذكرها تـارة وأتـذكره تـارة، وصـلنا الخبـر وانتظرنـاه عنـد المستشـفى الـذي يفتـرض أنـه سـينقل لـه ووصـلت سـيارة الإسعاف ورفض المستشفى استقباله لنقص فـي الأوراق مـن المستشفى المرسل منه وكنت فـي قمـة الغضـب لهذا التعامـل وبعد أن تفحصه الطبيب وتأكد أن حالته مستقرة ولـن يمـوت علـى فراشـهم وافقـوا علـى إدخالـه بعـد دفـع ٢٠ % مـن قيمـة العملية .. لقد أصبح الطب وظيفيـة حيوانيـة بـدلا مـن إنسـانية تتعامل مع مال الإنسان مع احترامي للأطبـاء الـذين يحملـون في نفوسهم بعض الإنسانية ولكنـي أشك أن في عالمنـا عربـي وجـود أطباء يعالجون النـاس بـهدف إنسانـي سامي لا يأخـذون منه قرشـا وحـدا إلا مـن رحـم ربـي، أدخلـوه إلـى غرفـة ظننـا بأنهـا للكـلاب ومـن ثـم بعـد بضـعة هواتـف نصـفها بفيتـامين

"واو" نقلوه إلى غرفة أخرى أفضل .. أتأمل في الغرفة .. في جدرانها الصماء أحس وكأنها تعكس أشياء كثيرة في أعماقها وأن تاريخها يحمل الدموع والقهقهة بين أهل يبكون على فقيد وآخرون فرحون لتشافي قريب، في ذلك اليوم جلسنا معه حتى وقت متأخر ثم خرجنا للعشاء وكانت عمليته في اليوم التالي.

بعد العشاء قررنا الذهاب إلى شاطئ البحر واخترنا كورنيش الدمام عوضا عن كورنيش الخبر .. كم أحب البحر وكم أحن إليه ليس لأنه بعيد عني وحسب بل لأن أغلب عطلنا الصيفية كانت بعيدة عنه بقدر الإمكان بسبب الفوبيا التي تشكلت عنه في عقل أمي وأنا لا ألومها فمن يرى ابن خالته يغرق بأمه عينيه فسيخاف حتما من الاقتراب من البحر وسيتكرر هذا المشهد أمام عينيه كلما رأى البحر أو اشتم رائحته أو سمع صوت أمواجه أو حتى شعر برطوبته، كان ما شاهدته أمي قصة قديمة ومؤسفة تجمع أيضا بين الفرح والحزن، كانوا في رحلة صيفية إلى أحد الشواطئ في سوريا "شاطئ مدينة طرطوس" وبينما كان الأولاد يسبحون سمعوا أحدهم يستنجد ويدور وينسحب للأسفل ليتداركوا أنها دوامة تلتهم كل من يعترض طريقها فهب ابن خالة أمي لإنقاذ أخوه الذي يغرق ونجح في سحبه من الدوامة بعد عناء كبير أنهك قواه ففرح الجميع بهذا ولكنه أخذوا بالبكاء عندما لاحظوا أن الذي أنقذه أخذ مكانه في الدوامة بعد أن تهالكت قواه من إنقاذ أخيه وللأسف غرق الذي أنقذه ونجا المريض!! الذي نجا كان مريضا عقليا ولا

اعتـراض علـى قـدر الله والحمـد لله أن كانـت خاتمتـه بإنقـاذ روح وأن مـات كشـهيد لأنـه غـرق ومـن ذاك اليـوم وأمــي لا تســــــــــــتطيع رؤيـــــــــــــــة البحــــــــــــــر.

وصـلنا إلـى الكـورنيش بعـد العشـاء وكـان يفصـل بيننـا وبـين البحر جـرف صـخري اصـطناعي يصـل ارتفاعـه إلـى ثلاثـة أمتار فأبيـت إلا أن أنـزل إلـى البحـر وأصـافحه بيـدي، بحـذر شديد حاولت النزول خشية مـن الصـخور المكتسية بخضـرة لزجـة اكتسـبتها مـن الطحالـب التـي اتخـذت مـن الصـخور مستقرا لها وبالنهاية وصلت إلـى الشـاطئ وأول مـا فعلتـه أن التقطت حجرا محدبا من الأرض ورسـمت علـى ذاك المكـان قلبا كبيرا يتخلله سهم وكتبت الحرف الأول من اسمها T فـي أعلى الزاويـة اليمنـى الحـرف الأول مـن اسـمي M فـي أدنـى الزاويـة اليسرى رغـم أنـي متيقن أن البحـر فـي اليـوم التـالي سـيثور موجــه ليلـتهم القلـب دون أي تقـدير لهـذه العلاقــة المقدّسـة وسـيخفي الـذكرى التـي أحـاول تخليـدها علـى رمـل ذلك الشاطئ ولكن لم يعد يهمن أمـر اختفـاء القلـب غـدا بقـدر ما كـان يهمن أن أمرّ بعد سنة أو سـنتين أنـا وزوجتـي وأقـول لهـا حبيبتي في هذه البقعة تحديدا خلـدت ذكـرى حبنـا بطريقـة جنونيـة ثـم سأرسـم قلبـا جديـدا وأجلـس فيـه بجوارهـا نتأمـل البحــــــــــــر ونعـــــــــــانق الأبديــــــــــــــة.

قمت بجمع بعض الذكريات مـن الشـاطئ لأرفقهـا فـي رسـالة نويـت أن أخطهـا لهـا وكنـت واثقـا أن كلمـات هـذه الرسـالة ستهطل على خاطري كالمطر بعد رؤية هذا المنظـر الجميـل الـذي يـدفع الكاتـب للكتابـة دون توقـف، قمـت بخلـع حـذائي

وأخذت بالسير داخل البحر ذهابا وإيابا .. حتى قاطعني صوت الشباب معلنين وقت العودة.

تركنا الشاطئ خلفنا وتوجهنا للنوم وكان المطر يغسل درن الجو وغباره، استيقظنا صباحا على المطر أيضا ولم أنسى البتة كلما رأيت مطرا أن أدعوا الله أن يتمم لي على خير وأن يزيد حبنا لبعضنا البعض كل يوم، استيقظنا ونحن بكامل نشاطنا وكان الجو جميل جدا ولو أتيح لي أن أنزل في كل سنة في أول نيسان إلى الخبر لفعلت فالجو كان ساحرا وأحسست في ذلك اليوم أني جالس على قمة جبل قاسيون(١٢) ، نمنا فقط أربعة ساعات ولكننا إحساسنا كان يوحي لنا بأننا نمنا أكثر من ثمانية ساعات بسبب الراحة التي شعرنا بها عندما استيقظنا وكل ذلك كان يرجع لنقاوة الهواء الذي غُسلت خَطاياه بمطر الأمس واليوم وإلى برودة الجو كانت تخالجها رطوبة بحرية مؤنسة، استيقظت قبل الجميع لأتقيّد بعادة عربيّة قديمة وهي أكل الفول في صباح يوم الجمعة أحضرت لهم الفول والفلافل والحمص والكبدة وبينما كنت أنسقهم على الطاولة انتبهت أنا كلا صاحبي قد استيقظا من النوم وكل منهم قد استحوذ على حمام ليخرج ما يأسره من الراحة .. فطرنا ثم تحركنا إلى صديقنا معاذ لنودعه في الساعتين الأخيرتين قبل العملية .. كم كان المشهد مؤثرا وكان يشكر كلاً منا على قدومه ويذكر محاسن كل شخص بنا وفضله عليه وكأنه وهو على هذا

---

(١٢) وهو من أشهر الجبال في دمشق لأنه يمثل جزءا كبيرا من مدينة دمشق، ويقصده الناس لأنه جوه جميل ولأنه يكشف مدينة دمشق بكاملها.

السرير يتنفس أنفاسه الأخيرة وأذكر أنه طلب ورقة وقلم ليخط عليها ديونه كي يفيها أهله له في حال أخذ الله أمانته إلى هذه اللحظة كنت ما زلت متماسكا تتقاذفني العبرات من حال إلى حال واحتقنت حنجرتي من كثرة الكبت حتى قال .. سامحوني يا شباب وهنا تفجر وجهي بعيون من الدموع و أعطيت أصدقائي ظهري واختلست كالسارق بعض المناديل أخفي بها دموعي أحسست بشكل أو بآخر أني أقف أمام الله يحاسبني على ما فعلت وتذكرت تحديدا حديث المفلس الذي ورد أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح في النار" [(١٣)]. فسامحته على كل شيء وحملت هم أن يسامحني الناس فيا قارئ هذه الكلمات سامحني وكما كظمتم غيظكم عن خطأ ما أكملوا معروفكم وأعفوا فإن لم تستطيعوا تخيلوا الذي أمامكم على فراش الموت يتعلق بالحسنة كالغريق الذي يتعلق بقشة، أعدكم أن قلوبكم سترق لمنظره وتسامحوه فورا على كل شيء ..

---

[١٣] رواه مسلم

اقترب موعد العملية وأنزلوه إلى غرفة العمليات وقبل أن يدخلوه طلب من الدكتور أنه يريد أن يودعنا قبل الدخول وهنا لم أتمالك نفسي مجددا وانهمرت دموعي، فالعملية تتطلب إبعاد أجزاء من فقرة مهشمة عن الحبل الشوكي وترميمها ببعض الخزعات من عظام لوح الحوض وتثبيت فقرتين من فوقها وفقرتين من تحتها بأسياخ حديده وصفائح معدنية، جراحة استمرت لتسع ساعات وبإشراف أربعة جراحين والحمد لله أنها نجحت بالنهاية ..
تركنا الخبر بعد أن ودعناه لدخول العملية وعلى الطريق دعونا له بالشفاء وكان النعاس يصارعني ولكن ما إن تذكرت حبيبتي حتى راودني شعور غريب وقررت أن أكتب لها رسالة فلم أجد ورقا .. لم أجد إلا منديلا ورقيا من أحد المقاهي .. وانطلقت يدي تراقص القلم فوق المسرح الأبيض الناعم لتصنع المشهد التالي:
"بسم الله الرحمن الرحيم
خطيبتي تقى ..
عذرا منك فلم أجد شيء أكتب عليه إلا هذا المنديل الذي حصلت عليه من أحد مقاهي القهوة على طريق رجوعنا من الخبر إلى الرياض.
الأحاسيس والخواطر ليست شيئا أستطيع استحضاره وقتما أشاء فأمسكت بالمنديل وبدأت بخط خواطري عليه ووضعت لكي به ذكرى من الشاطئ.
على ذلك الشاطئ وفي زاوية يصعب الوصول لها بسبب حاجز صخري صناعي وعلى تلك الرمال الناعمة رسمت

قلبا كبيرا وضعت على زواياه الحروف الأولى من أسمائنا ..

ومشيت أنظر خلفي إلى القلب لأرى آثار قدمي، كنت أتمنى بنفس اللحظة أن أرى آثار قدميك بجانبها كم تمنيت أن تكوني بجانبي في تلك الليلة.

كم تمنيت أن نجلس سويا داخل ذلك القلب الذي رسمته .. نعانق بعضنا ونتأمل بالبحر وننظر إلى لا نهايته على أنه لون من ألوان حبنا اللامحدود واللانهائي ..

ولعلنا نكون سويا يوما ما على نفس الشاطئ وفي نفس البقعة لأقول لك حينها حبيبتي هنا رسمت ذلك القلب وهنا كنت وحيدا أتمناك لو كنت بجانبي.

وكم أني كنت أحبك في تلك اللحظة وكم أنا أحبك في هذه اللحظة وكم سأحبك في اللحظات القادمة .. زوجك إن شاء"

رسالتها الثانية:

"بسم الله الرحمن الرحيم

إلى زوجي الغالي ..

هذه أول رسالة أخطها بيدي إليك "لأن السابقة كانت بريدا إلكترونيا"، وأنا لا أعرف وأريد أن أعرف مقدار السعادة التي أنت بها الآن .. لا أعرف بماذا أبدأ وماذا أكتب ..

أولا أود أن أشكرك حبيبي المهند من كل قلبي على كل هداياك وعلى ذوقك الرفيع في انتقاء تلك الهدايا الرائعة.

ثانيا أريدك أن تنسى كل ما جرى بالأمس الجيد والسيئ ، أريدك أن تتذكر فقط كل ما هو جميل بيننا .. وأتمنى أن أكون بجانبك وأدخل ذلك القلب الذي رسمته على ذلك الشاطئ يوما ما ..

وعلى فكرة لم يهن على أبي أن تخرج من عندي وأنت منزعج وحزين .. وأنا أيضا لم يهن علي أبدا لذلك حضنت وسادتي واستلقيت على سريري وأنا أبكي وكنت حزينة جدا لأني جرحت وأزعجت من أحب .. أتمنى أن تسامحني وأن تنسى ما حدث بيننا في ذلك الموقف. وأريدك أن تبقى متذكرا أني أحبك و أحبك و أحبك. وأرجوا أن يدوم ويكبر هذا الحب بيننا إلى الأبد .. وأعدك أن أكون زوجة مطيعة لزوجها.

وأتمنى أن تكون سعيدا بهذه الرسالة المتواضعة ..



الحمد لله ... ارتحت من عناء العد لأني كنت منذ أن حددنا تاريخ كتب الكتاب على أنه بعد شهر تكون في مخيلتي عداد تنازلي يحتوي أياما وساعات ودقائق، أتحرى بها لحظة ذهابي إلى محكمة الأنكحة مع والدها وشاهدين لتكون زوجة لي على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، تحدثت مع

محكمة الأنكحة لمعرفة الأوراق المطلوبة مني و معرفة ما إذا كان مطلوب مني أن أحدد موعدا مع القاضي أم لا ولم أكتفي بالهاتف فهكذا دائما المحبون كثيري الشك والحذر فقمت بزيارتهم بعد يومين لأعرف ما المطلوب بالضبط، ومشيت بسيناريو الزواج دون أن أدري لأني أدركت في اللحظة الأخيرة عندما سألوني أين هي لندخلكما على الشيخ .. أدركت أني أستبق الحدث وأن ما فعلته كان يجب أن أفعله وهي معي ولكن لا بأس لأني على الأقل عرفت بالتفاصيل ماذا يجب أن أفعل عندما تحين اللحظة الفعلية. حدث في مثل هذا اليوم .. عبارة عن برنامج قامت به عدة قنوات فضائية كان مصدر معلوماتهم بعضا من كتب التاريخ وأراشيف من الجرائد والمجلات ولم يقوموا إلا ببعض التنسيق واستعراض بعض الأحداث التي كانت بنظر المنتج أو المخرج مهمة ومع صوت بنبرة كاريزمية يتم عرضه ليسرق عيون وآذان الكثير من المشاهدين الذين لا يدرون لماذا هذا الحدث مهم من الأساس!! وما دفعهم إلى متابعته إلا الفضول.

تناقشت مع خطيبتي عن هذا الموضوع وقلت لها أين سنخلد الذكرى ولأي تاريخ أفي يوم عقد النكاح أم في يوم العرس في سوريا .. فكرت قليلا ثم قالت لي يوم العرس فأخبرتها أنه من المنطق أن يكون يوم عقد النكاح هو يوم الذكرى لأنك ستصبحين لي زوجة على سنة الله ورسوله في هذا اليوم وليس في يوم العرس .. ومع ذلك نسيت أن أخبرها هل

سنعتمد اليوم الهجري أم اليوم الميلادي للأسف أن تخلي العرب والمسلمين عن هويتهم همّش من استخدام التاريخ الهجري ولو كان العرب والمسلمون جدّيين في استخدام التاريخ الهجري لرأيت العالم كله مهتم به أو على الأقل يعطيه اعتبار ولاستخدم العالم الذي يتعامل مع أحد الدول الإسلامية برامجا لتحويل التاريخ كما يتم تحويل العملات بشكل يومي ولكن لا حياة لمن تنادي فعرب هذه الأيام عادوا عبيدا بعد كانوا ملوك الأرض لأنهم غيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم ونكّس راياتهم وسلبهم المجد الذي لم يعودوا يستحقوه ..

يبدوا بأني سأحتفظ بالتاريخ الهجري كذكرى لزواجي وسيكون الزواج على رأس قائمة "حدث لي في مثل هذا اليوم" في هذا التاريخ تحديدا، اتفقنا على أن نجتمع في المحكمة في صباح ذلك اليوم الجميل دخلت للمحكمة مبكرا للتأكد من أن كل شيء سيسري على خير ما يرام وعند دخولي بدأت بالمقارنة .. رأيت نساءا ورجالا كثيرون كل منهم ينتظر دوره ليعقد النكاح بإشراف اللجان الشرعية .. رجال دين كثيرون أميزهم بطريقة وضعهم للشماغ حيث يضعونه بدون عقال وغالبا ما يكون متأخرا عن مقدمة الرأس ليظهر جزء من قبعتهم البيضاء بشكل واضح ولا عيب في هذا إن كان عن غير قصد أما إن كان يتصنعه البعض ليبدوا متدينا فهذا عيب كبير لأنه مع الوقت بات يصبح كالهُويَّة، وإن صنعوا لأنفسهم هوية ظاهرية يمكن

للصالح والطالح حينها أن يقلدها.
في ذلك المكان كنت أنظر لمن حولي وأقارن كيف أن الناس قد جاءوا إلى هنا يتبسمون لا يخافون من أحد يريدون أن يعقّوا أنفسهم بالحلال على سنة الله ورسوله وبين من يذهب خلسة إلى الملاهي الليلية تجده يتوارى من خياله وينظر كثيرا يمنة ويسرة ليبحث عن إحدى بائعات الهوى فيشبع غريزته الحيوانية بها، حيوانية لأنه اختار أن يضعها بالحرام .. اختار أن ينام مع غانية تشبه فتحة المجاري يفرغ بها الزناة شهوتهم ثم يمضون عنها ولربما استحقروها واستحقروا أنفسهم كيف سولّت لهم أن يناموا مع واحدة لا تجمعهم معها أية روابط شرعية ولا مشاعر ولا حب لا و أيضا قد لمسها ولطخها ألف رجل قبله .. وحال هؤلاء حال أي علاقة غير شرعية يهيمن عليها الخوف والاختباء والذنوب وغضب الرب،
كم هو الفرق كبير بين الحلال والحرام !!

وصل عمي وابنته وأمها والشاهدين وانتظرنا حتى جاء دورنا وطلبوا منا الدخول، وكان الشيخ يحمل ورقة قد طبعها له مساعده بعد أن أدخل بياناتنا في أحد الأنظمة وأدخل المقدّم والمؤخّر وأسماء الشاهدين ومن ثم طبعها ليقرأ الشيخ بعض الكلمات الجميلة بادئا باسم الله ومتأكدا من هوياتنا واحدا واحدا ومن ثم طلب من عمي أن يردد بعض الكلمات أذكر منها "زوجتك ابنتي على سنة الله ورسوله" وأن الشيخ طلب مني أن أقول لعمي .. "نعم قبلت بهذا العقد"، فقلتها حتما وبلا تردد.

قال الشيخ مبروك وبدأ من كان حولي بالمباركة والتقبيل .. أتأمل في بساطة الأمر مهر وشيخ وبضع كلمات .. أصبحت زوجتي، أصبحت حلالي كانت غريبة عني لا يحل لي لمس يدها، ثم أصبحت حلالي في ظرف ثوان قليلة.. تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله في النساء، فإنهن عوانٌ عندكم، أخذتموهن بأمانة الله .. الحديث" وعوان في الحديث تعني أسرى، بعدما انتهينا قلت لهم لقد كان الأمر برمته بسيط جدا فقالوا لي مازحين هيا لنعيده إن أعجبك، أنهيت الأمور المطلوبة وحصلت على عقد النكاح وصورت منه لاحقا خمس صور احتفظت بواحدة منها في محفظتي وأخرى بالسيارة واثنان لزوجتي بحيث نضعه في عين كل من يشكك في أننا صاحبين لا زوجين وعلى كل حال .. سبحان الله الذي فرق بين الحلال والحرام فالمتزوجين يبدوا عليهم ذلك وسيماهم في وجوههم أما المتصاحبين فشحوب الخوف على وجههم ساطع ويسهل اكتشافهم .. سيقول بعض من يسمون أن أنفسهم الآن بالمنفتحين فكريا ما هذا الكلام الذي يقوله وما هذا التحجر .. اسمحوا لي معاشر القراء هذا ليس رأيي الخاص والأدلة بذلك كثيرة فإن وجدتم لآرائكم الغبيّة الغربية دليلا واحد فكلي آذان صاغية.

وصّلتهم إلى منزلهم وكنت قد اتفقت مع زوجتي أن نلتقي في المساء لوحدنا وفعلا كان الشعور جميلا حينما صَعدت معي في السيارة .. حينما صعد معي نصفي الآخر الذي كنت أنتظر قدومه لأكثر من ٦ سنوات .. كم هو الفرج جميلا من بعد الصبر.

أخـذنا بالـدوران فـي شـوارع مدينـة الريـاض، توقفـت عنـد إحدى المحامص وأخذت بعضا من المكسرات وتوجهت إلى حديقة علمدار الجديدة، كانت جميلـة جدا ولكن أزعجنـا بهـا كثـرة الشـباب وعنـدما وصـلت كانـت أول كلمـة قلتهـا يـالله هؤلاء الشباب لـم يتركـوا لنـا مكانـا نجلس فيـه .. ثـم توقفت قلـيلا وضـحكت وتـذكرت أنـي قبـل الـزواج كنـت أقـول .. يـا ربي كل الأماكن مخصصة للعائلات .. لعائلات لم تتـرك لنـا متنفسـا نقضـي بـه بعـض الوقـت ..

أمضينا هناك بعض الوقت ثم قررنـا العشاء وكنت قد اخترت مطعمـين دلنـي علـيهم صـديق لـي يتميـزوا بألـذ الأطبـاق الإيطاليـة ولكـن وللأسـف يبـدوا أن الطعـام اللذيـذ يسـتحق الانتظار أو الحجز المسبق .. فقررت أن أخذ بطاقات هذين المطعمين لنجعل عشائنا عندهم بمناسبة أخرى وتوجهت إلى مطعم آخـر أعرفـه ووجدنا مكانـا مغلقـا للعـائلات وهذا كـان مبتغاي لمست يدها للمرة الأولـى وكـان وجههـا يمتلـئ حمـرة وكاد الدم ينفر من أنفها من كثـرة الحيـاء .. كنـت أنـا فـي قمـة سعادتي وأحسست أني أمضـي أجمـل لحظـات عمـري وكـان ما لمسته الأنعم علـى الإطـلاق، كـي لا أبـالغ بـدأت منذ تلـك اللحظة بتخصيص مكان خاص لها في دماغي أحفظ بـه أدق تفاصيل خَلقها البديع وأنا متأكد أنـه مـع الوقت سـأكون علـى علـم بتفاصـيلها أكثـر منهـا واسـتخدمت فـي تلـك اللحظـات سلطان قـوتي فـي سحب يدها إلـى فمـي وتقبيلهـا لتكـون تلـك القبلة الأولى مني لها، ومضـى الوقت يشابه العذّال لا يـديروا لنـا وجههـم بعـد أن يولّـوا ..

لقائنا الأول استمر إلى الساعة الثالثة صباحا وفي اليوم التالي كان موعد الاحتفال الصغير بعشاء وتلبيس الشبكة وبدأ أهلي و أهلها بالتصوير بلا كل ولا ملل حتى بدأت أفقد بصري وبصيرتي ولم أكن لأهتم إلا بشيء واحد .. متى سنجلس لوحدنا كي أحظى بحلالي لأسرق منها بعضا من اللمسات والقبلات وأتمتع بحيائها الذي يعتبر أجمل ما في المرأة وأكثر ما يميزها لقد استطعت في ذلك اليوم أن أصيد عصفورين بحجر واحد وضممتها لصدري لأول مرة، كانت الضمة طويلة وكنت أشد بكلتا يداي بقوة وكأني خائف بأن تفلت مني لدرجة أني سألتها هل آلمتك بضغطي فقالت لي كلا والتمست منها نفس الشعور فكان سرورنا يتساوى تقريبا في هذه التجربة الرائعة التي لا أعتقد بأني سأمل يوما منها لأن شعرت بأنها تشحنني بفيض من حنانها هذا كان العصفور الأول أما العصفور الثاني فهو الذي انتظرت من أجله كثيرا ولم أقتله في حجري إلا بعد أن أقنعته بجمال الموت لأني لم أشأ أن أغدره أو أقلته وهو نائم .. العصفور الثاني كان القبلة التي رسمتها على شفتيها كم كانت جميلة لقد أخذتني وهي إلى عالم آخر لا أستطيع أن أتذكر عنه شيئا إلا أنه كان جميل يجعلك تشعر بأنك وزوجتك لوحدكما في العالم كله في ذلك اليوم خرجت من بيتهم على آذان الفجر واستغربت من إشارات المرور الستة التي تواجهني في طريق العودة للبيت كيف كانت جميعها خضراء، في اليوم الذي يليه توجهت إليها عند صلاة المغرب وكان أهلها خارج المنزل صلّيت بها إماما ثم انطلقنا لنشرب بعض

العصـير فـي مقهـى يتميـز بجـوه الرومانسـي إضـافة إلـى إعطائك الخصوصية وهناك فعلت ما فعلت وكـان أجمل مـا فعلتـه أن خلعـت لـي حجابهـا وتركتنـي ألعـب بخصـلات شعرها، كم كـان الشعور جميلا تفعل ذلك وأنت مرتـاح لا تخاف من شيء لأنك تفعل الحلال .. أحسست أنـي طفل فـي تلـك اللحظـة وأعتقـد أن الغـرف المجـاورة لـي أحسـوا بمـا يحدث عندنا في الداخل رغم الخشب الذي يحيط بنـا من كل حد وصوب ولكن صوتها المرتعد من حركاتي المباغتة كان كافيا للتعبير عما يجري في الداخل "وهذا من الحماقات التي يرتكبهـا المحبّـون فيمـا بيـنهم ولكـن لا يعـوا بهـا إلا بعـد أن يفوت الأوان" يقول المثل عندنا " الذي يخـرج من داره يقل مقداره " .. تـذكرت مقولـة لجبـران يقـول فيهـا إن المتحـابين كـالحمقى لا يـرون الحماقـات التـي يرتكبونـهـا ولا أذكـر هـذه المقولة لأستشهد بما حدث فـي المطعم بـل أود ذكـر الأوقـات التـي كنـا نحـب بهـا أن نتبـادل أطـراف الحـديث فـي الشـارع وكـان مكاننـا المفضـل بجانـب شـجرة ضـخمة يواجهنـا حـائط وعن جنبنـا سـيارة كبيـرة ولكننـا لـم نجـده متـوفرا إلا مـرة أو مـــرتين.

لم أشعر بهذه الحماقـة إلـى فـي اليـوم الـذي يليـه عنـدما بـدأت بالتساؤل ماذا لو رآنا أحدهم ماذا لو قاطعنا بعض اللصـوص أو المدمنين ماذا لو ماذا لو ، فقلت الحمـد لله وعاهدت نفسـي أن لا أكرر هذا الفعل الطائش إلى في منزلنا أو منزلهـا .. لـم نعد في تلك الليلة حتى الساعة الثانية مساءا وهنا بكرنـا قلـيلا ليس لأننا نريد ذلك ولكن أنا عندي عمل وهي عندها مدرسة

وكل منا تمنى لو أنه متفرغ للكلام العذب واللمسات الحنونة والهمسات الدافئة من الحبيب فأنا قلت لها ليت المال يقطف من على الأشجار وهي تساءلت كيف لنا أن نبقى سوية إلى الأبد لا يعكر صفو عالمنا شيء فقلت لها بالجنة إن شاء الله .. وتذكرت في تلك اللحظة مشهدا كنت أراه كثيرا في البرامج الوثائقية .. مشهد القرود حينما تفلّي ظهر شريك لها مستخرجة القمل من فذكرت لها المشهد وقلت لها أرجوا أن نكون مثلهم ولكن ليس في نبش القمل .. قالت بماذا إذن !! قلت لها بنبش العيوب والخطايا حتى يكمّل كل منا الآخر .. فقالت لي إن شاء الله.

للأسف خنت نفسي بعد أن عاهدتها وتوقفت مجددا في أحد الحارات المظلمة ولم يكن الوقت متأخرا حينما توقفت أمامنا أحد السيارات المظللة لينزل منها شابان يبدوا أنهم بعمري أو أقل بقليل وحينما رأيت أحدهم يتوجه نحو السيارة قمت بقفل الأبواب كحركة احترازية وحمد لله أني فعلت .. جاءا عندي وأول ما حاول فعله هو فتح الباب، فشققت النافذة قليلا وقلت له : خير ماذا تريد؟ فقال لي تفضل وانزل من السيارة فقلت له عفوا ولكن من تكون؟ فقال لي أنزل لتعرف فقلت لن أنزل حتى أرى هويتك وأعرف من أي جهة وبأي حق تطلب مني النزول فجاء صديقه وبدء بالضغط على أزرار هاتفه النقّال والتأشير إلى طرف آخر من الشارع على أنه يطلب مساندة وأنا أحسست من البداية أن الأمر مسرحية فرجال الأمن يبدوا عليهم من الأسلوب وأول شيء يفعلونه

هو أن يظهروا بطاقاتهم الأمنية، كانت زوجتي في تلك اللحظات في قمة الخوف وكانت ترتجف .. نظرة لها نظرة فأومأت برأسها أن لا تفتح وكان شاحبة كالأشباح وفي تلك اللحظات لم أكن لأخاف على نفسي بقدر ما أنا خائف عليها وبالنهاية قررت ..

قلت له : ستريني بطاقتك أم لا فقال لي أنزل حتى أريك إياها فقلت له إن كنت من الشرطة فانظرا إلى رقم سيارتي وعمّم عليها وشغلت سيارتي فإذا بأحدهم يقف خلفها ظننا بأني سأخاف من التحرك، ولكني وضعت السيارة على وضع الرجوع وكدت أن أدهسه لولا أن قفز متفاديا جبروت الحديد .. وتوكلت على الله وأنا في كامل اليقين أنهم ليسوا إلا محتالين عاطلين يتقمصون شخصية الشرطة لسرقة المال أو التمتع بالمرأة التي معي و لربنا ظنوا أنها صديقة لي ولذلك تجرءوا فقالوا بما أنها تخرج معه فلم لا تخرج معنا وبما أنه يتمتع بها فلم لا نتمتع بها وعلى كل الأحوال قد أكلوا نصيبهم من الدعاء وصورة وجوههم في مخيلتي لن تمحوهــــــــــــــــــــــا الأيـــــــــــــــــــــــام.

في تلك الليلة رجعت إلى المنزل بعد أن ودعتها قرب منزلها بعناق حارق يتخلله اعتذار خفي عما جرى واعتذرت لها مرات كثيرة لأن ضميري أنبني عما حدث ولما رأيته من الخوف الذي اعتراها في تلك الليلة، عندما عدت للمنزل تذكرت كثيرا من القصص التي تتعلق بالاختطاف

والاغتصاب وبدأ خيالي بشكل لا إرادي بتخيل الموقف نفسه ولكن مع تخيلي لفتح للباب وتخيلت أنهم اختطفوها أمام عيناي وأنهم أشبعوني ضربا .. وعندما استيقظت من الخيال وجدت نفسي متعرقا ولم أتمالك نفسي فأجهشت بالبكاء ورفعت أكف الدعاء، أدعوا لها أن يحميها من كل شر وأدع عليهم أن يريني بهم عجائب قدرته وأن يرد ذلك في أهلهم حتى يتعظوا ونمت وعيناي ممتلئة بالدموع خوفا وطمعا.

في اليوم التالي توجهت لأحد المحلات لأشتري عصاة خشبية كبيرة تشبه مضرب البيسبول ويسمونها بالعامية "بالعجرة"، كخطوة احترازية للمستقبل فلو واجهت أمثالهم مرة أخرى فلن يكون خياري إلا أن أهشم رأسهم بها وأجعلهم عبرة لمن يعتبر، اتصلت بصديق لي يعمل في الشرطة وأخبرته بما حدث فقال لي اطمئن حتى ولو كانوا من الشرطة فمن حقك أن تطلب رؤية هويتهم فإن لم يفعلوا وهربت لن يستطيعوا فعل شيء لأنهم هم المخطئون، وأخبرته أيضا عن موضع العصا الخشبية فقال لي احذر لأنها ممنوعة، بعد أن انتهت المكالمة توجهت بشكل لا إرادي نحو نفس المنطقة التي رأيتهم فيها بالأمس وأخذت بالذهاب والإياب كالكشافة بُغية أن أجتمع بهم مرة أخرى .. أسير بالسيارة على مهل، مقطب جبيني وأنظر إلى كل شخص وكأني أبحث عن غريم قتل أبي وكأني جئت أبتغي الثأر ولكن لم أجد أحدهم وفي نهاية اليوم هدأت أعصابي وذهب الخوف عني وأعتقد بأن قراري في تركهم والهروب

منهم في تلك الليلة لم يكن من نفسي وإنما كان من الله والحمد لله الذي هداني لهذا و هداني لكي أقرأ المعوذات وآية الكرسي قبل خروجنا تلك الليلة فكانتا لي حرزا من شياطين الإنـــــــــس والجـــــــــــن ..

كان درسا لن أنساه علمني أن لا أبقى خارج المنزل بعد منتصف الليل أو على الأقل أن لا أتوقف في الشارع ولو أمام منزلي .. وأتساءل حتى الآن كيف لأي شخص أن يتجرأ على عفيفة؟ أي قلب يملك؟ ألا يخاف من الله ؟ العفاف .. كلما سمعت تلك الكلمة تذكرت حادثة حدثت منذ ٤ سنوات عندما قتلت فتاة بريئة عفيفة على يد أحد الأشخاص الذين أعرفهم عن طريق صديق لي !! لقد قتل أخته باسم الشرف وللأسف كانت الدولة التي كنا فيها لديها قانون غريب يسمح للرجل أن يقتل أخته أو أمه تحت قناع الشرف وتسجنه الحكومة إن فعل ذلك رفع عتب لمدة قصيرة إن ثبت بالطب الشرعي صحة ما يدعي، ولا أدري إن كان قد أثبت الطب الشرعي ذلك أو لا .. فالموضوع مستنكر لدي من الأساس لعدة أسباب، السبب الأول أن الفتاة البتول الغير متزوجة لا تقتل إن زنت حسب تعاليم الإسلام وإن شهد على زناها كل سكان الأرض والأمر الآخر الذي أستنكره هو الازدواجية فهذا الذي حدثتكم عنه خنزير .. نعم خنزير لأنه كان يزني كثيرا وله عدة تجارب فكيف تخول له نفسه أن يقتل أخته ولا يقتل نفسه .. ألم يكن من الأجدر أن يقتل نفسه حينما شك بها لأنه

هو من قبل ذلك تعدى على أخوة وبنات الناس فلماذا لم يقبل ذلك على نفسه هذا على فرض إن حدث، وبالمناسبة فإن هذا القانون منتشر في أكثر من ٤ دول عربية لا على التعيين والسؤال الذي يطرح نفسه هل يجوز للفتاة أن تقتل باسم الشرف أم أنه شيء مخصوص للمجتمع الذكوري الأناني؟ ليس بيدي إلا أن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن أذكر الناس ببيت الشعر :

لا تنهى عن شيء وتأتي بمثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

مرت الأيام بسرعة خيالية، بعد كان موعد اجتماعنا الأسبوعي كل خميس، كان هذا اليوم هو أفضل أيام الأسبوع بالنسبة لي أكثر ما يجذبني إليه هو أني سأحضنها وأنا على السرير وهي فوقي تضيع بضخامتي فتشبعني حنانا وتأملي شعورا بالرجولة، لقد انقضت الأيام بسرعة دونما أحداث مميزة لأن كل لقاءاتي بها كان مميزا فكيف أجد من المميز مميزا ؟!

الوداع الأول:

لقد كان وداعنا الأول فور انتهاء دراستها وكانت تشد رحالها إلى سوريا للتحضير إلى العرس، لقد كانت لحظات صعبة كلما شعرت بها تذكرني بالمقولة المشهورة "عازب دهر ولا أرمل شهر" وهي تعني لا بأس أن يعيش الأعزب طول عمره بدون امرأة ولكن من الصعب جدا أن يعيش من

تزوج بدون امرأة أكثر من شهر، لقد شعرت بهذا بعدما افتقدت من كنت أضم ومن كان يقول لي كل يوم قبل أن أنام أحبك، جاء موعد السفر وذهبت إلى بيتهم مودعا أجر خطواتي وكأني أمشي بجنازة شخص عزيز علي كان اللقاء صعبا لأن نهايته ستكون الوداع تخلله الكثير من العناق وكأني سأراها للمرة الأخيرة في تلك الليلة تركت لها رسالة لتقرأها غدا أثناء سفرها كان نصها:

"زوجتي تقى اعذريني فوداع الأحبّة صعب على قلبي ..
أشعر وكأنه محاكاة لخروج الروح من الجسد.
أشعر بشوك في حلقي... يتحرك ببطء .. يؤلمني .. يجعلني أختنق، أكبت آهاتي وعيوني تتجمد من هول الموقف فلا تقوى على ذرف الدموع ..
ولكنها ستنفجر باكية حينما تجد نفسها وحيدة في آخر الليل ..
كم هو صعب وداع الأحبة ولكن الأصعب منه هو فراقهم الأبدي إلى الرفيق الأعلى
فالحمد لله أننا ما زلنا على الأرض سويّة والحمد لله أن لقائنا القادم ليس ببعيد
والحمد لله أننا سنجتمع قريبا تحت سقف واحد
حبيبتي تقى .. لا تذرفي الدموع فهي غالية.
لقد كانت الأيام الماضية من أجمل أيام حياتي ..
والأيام القادمة ستكون أجمل يزيّنها وجودك.
وداعا يا نبع الحنان ..
وداعا يا شعوري بالأمان ..

وداعـــــا يـــــا مـــــن ملـــــئ حيــــاتي بــــــالألوان ..
مـــن لحظـــــة مغادرتـــك ســـيتوقف عنـــدي الزمـــــان
ويمتلـــئ صـــدري بالأشـــجان ويدنـــدن لســـاني بالألحـــان
لحـــن حـــزين ينســـجه الحنـــين يتـــردد صـــداه بـــالأكوان
ينادي بشوق وهيام .. متى سنصبح زوجان"

كان المتبقي شهر واحد فقط على موعد زواجنا وقد مضى هذا الشهر بصعوبة وكان الشهر الذي حظي بأقل عدد ساعات نوم في حياتي لدرجة أن بياض عيناي اختفى وتبدل بلون أقرب إلى الحمرة من قلة النوم، كنت أسأل الله كل يوم أن يخفف ضغط عملي لأني منهك من قلة النوم، أرّقني كثرة التفكير وتحري موعد الرحيل.



الفصل الثامن : وداعا للعزوبية

تبقى علـى موعـد عرسـي عشـرة أيـام فقـط، أعـدها بالدقيقـة والسـاعة وأودع أنفاسـي الأخيـرة التـي أتنفسـها ;كـأعزب، جهزت منزلي وتبقى لـي أن أحضـر بعض الأمـور الأخـرى التي لم أستطع إحضارها لعدم تـوفر المـال، وهذه حـال يمـر بها معظم الشباب المقبلين على الزواج ولكنهم يتفقون جميعا علـى أن الـزواج بركـة وأن الله يـرزق الرجـل مـن حيـث لا يحتسب فيجد نفسه قد نجح في تحقيق كثيـر مـن الأمـور كـان يجدها غير منطقية عندما كان يفكر في تحقيهـا .. كنـت فاقدا الأمل أن أجد بيتـا يؤويني وكانـت أجـارات البيوت مرتفعه، طلبت من أحد أصدقائي أن يؤمن لي دهَّانًا ليجهز لـي غرفـة كانت على سطح بيتنا واتصل بـي الـدهَّان بعد يومين وكنت في غاية الأسى لذلك لأن من يسكن وحده يحظى براحة أكبر وخصوصـية أكبـر، اتصـل بـي الـدهان و أرشـدته إلـى موقـع البيـت واتفقنـا أن نلتقـي فـي موعـد محـدد، بعـد أن أنهيـت مكـالمتي مـع الـدهان جـاءني اتصـال مـن أحد الأطبـاء وكـان ينوي أن يترك البلد ويريد من يكمل عنه أجار بيته ويشـتري بعضا من أثاثه وقال لـي إن كنت تريد ذلـك فتفضـل وكـان قد حصل على رقمي من أبو زوجتـي، قلـت لـه أعطيك قـراري بعد ربع ساعة .. أشعر بالتيه على مفترق طرق لا أدري أي السـبل أسـلك هل أقابـل الـدهَّان أم أذهـب للطبيـب .. لـم أملـك الكثيـر مـن الوقـت، اتصـلت بالطبيـب وقلـت لـه نتقابـل عنـد

الساعة العاشرة، ثم اتصلت بالدهَّان واعتذرت منه وقلت له أحدثك لاحقا .. واتفقت بالنهاية على أن آخذ بيت الطبيب فسبحان ربي الذي لا ينسى عباده رغم يأسهم.

حظيت ببعض الأيام في بيتي الخاص وسألت الله أن يجعله عامرا بتقواه ورضاه، وبالتأكيد تمنيت مع الأيام أن يكون لدي بيت ملك باسمي بدلا من بيت مستأجر، اقترب موعد السفر و أغراضي جاهزة قبل أسبوع تنتظر مني أن أرميها في الطائرة .. أفكر بزوجتي كثيرا حتى أصبحت أراها في منامي كل يوم تقريبا وأشتكي قلة النوم وكذلك هي تشتكي لي ذلك، لقد ذهب الكثير وتبقى القليل.

غدا موعد السفر، ذهبت إلى المطار قبل الإقلاع بساعتين تحسبا لأي طارئ، وكنت قد اتفقت مع زوجتي مسبقا أن تستقبلني من المطار ثم تعود معي إلى المنزل لقد مضى شهر على فراقنا ولكنه كان كالسنة لقد بدأت أفهم المعاني القرآنية بعدما تزوجت وبدأت أعرف تماما ماذا كانت تعني كلمة "سكن".

كان اللقاء حارا ولكن للخجل لم أظهر مشاعري أمام الناس وانتظرت حتى اختليت بها في البيت، ساعات قليلة تفصلنا عن العرس، رغم أن بعض الناس نصحوني بأن لا أجتمع بها قبل أسبوع كامل من العرس نظرا للتوتر الحاصل إلا أني لم أشعر بتوتر إلا و أنا بعيد عنها.

جـاء موعـد العـرس وتجـري عادتنـا فـي دمشـق أن يجتمـع الرجـال بفتـرة مـا بـين العصـر والمغـرب فـي صـالة مسـجد ليستفتح جلستهم احد مقرئـي القرآن، ومـن ثـم فرقـة إنشـادية وقد يتوفر شيخ ليلقي كلمة ومباركة على العريس والحضور ويختم كلمتـه بالـدعاء وبعد هذا الاجتمـاع يؤخذ العريس إلا بيته ليغير ملابسه ثم يزف بعد صلاة العشاء مع " العراضـة الشامية" التي تضرب بالسيوف والطبول ملقية جمل مبهجـة تخص مناسبة الزواج يرتدي أعضائها اللباس التقليدي القديم لأهل دمشق التي لم يعد يرتديها إلا هم وقلـة قليلـة من عامـة النـاس.

لا أدري لماذا يراودني فكرة أن المرأة تفرح بـالعرس أكثـر مـن الرجـل، ولكـن النـاس تقـول بأنـه أسـعد يـوم فـي حيـاة الإنسـان، أتـذكر بهذه المناسـبة قـول أحـد السـلف حـين سـأل أحدهم ما هو أسعد يوم في حياتك؟ فجـاوب يقـول: يـوم يغفـر الله لـي، أسأل الله أن يغفر للمسلمين في ليلـة زواجهم لتصـبح الفرحــــــــــــــــــــــة فـــــــــــــــــــــرحتين.

أحلـم بهـذا اليـوم منـذ وقـت بعيـد وهـا قـد أتـى أخيـرا، كنـا قـد حضرنـا لـه كثيرا من حجز للصالة وطباعة لبطاقات الـدعوة، يوم العرس مشابه ليـوم المـوت كثيـرا مـن حيـث الـزوار فهـم يأتون من كل مكان ليسعدوك بحضورهم قد يجتمـع فـي يـوم عرسـك أكثـر عـدد مـن معـارفك ليزفـوك إلـى عروسـك التـي تنتظرك بشوق.

فـي ليلـة العـرس معظـم الحاضـرين مسـرورين ولكـن يجـب دائما أن يكون هناك معارضون ولكن لا اعتراض على قدر الله وأولئك المعارضون هم أكثر من ينشطون في تلك الليلة ويرقصون كرقص الطير مذبوحا من الألم لأن مخططاتهم لم تسير كما أرادوا ولم يتزوج العريس منهم أو لم تتزوج العروس منهم والكل يشتكي ويقول بماذا هذا العريس أفضل مـن أبنـي أو بمـاذا هـذه العـروس أفضـل مـن بنتـي ..

يسـهوا الجميـع عـن الحقيقـة الواحـدة أن هـذا الـزواج قسـمة ونصيب، في ليلة العرس كنت أعجب لأمور كثيرة تبقي عندي أسئلة معلقة لم أجد جوابها حتى خضت التجربة بنفسي .. كنت أعجب من تلك الدموع التي تذرفها الأمهات .. لا أدري أهي دموع فرح أم حزن ولا أدري ما طعمها أهو مالح أم حلو ويبدوا لي أن هذه الدموع خليط بين الأمرين فالأم تكون حزينة على فراق ولدها بعد أن أفنت نفسها في تربيته وسهرت جانبه عند مرضه وبكت لبكائه وبكت خوفا عليه وبكت فرحا له تراه أمام أعينها بعد أن أصبح مكتملا يذهب من بين يديها إلى يد فتاة أخرى ، والأم تكون فرحة لفرح ابنها ولأن هذا الفتاة ستسعده فيكون شعورها حزن وفرح بنفس الوقت .. والأمر ذاته يحصل لأم العـــــــــــــــــروس.

كنت قريبا من الانفجار عندما انسكب الشاي على ورقة لم أخذ في كتابتها أكثر من عشرة دقائق فكيف بأم كانت تكتب بابنها منذ أكثر من عشرين عاما، وماذا كنت لأفعل لو

أخذت بذرة زهرة وسقيتها واعتنيت بها وسمدتها ووضعتها بالشمس ثم نمت وتفتحت وأصبحت جميلة المظهر عطرة العبق ليأتي عابر سبيل ويقطفها بكل بساطة بعد كل هذه العناية!! لذلك علينا أن نقدر حزنهم ونقدر تعبهم في هذه السنين من حياتنا ونتذكر صبرهم وسهرهم عندنا ونحن مرضى و إن استطعت وتذكرت أن تذهب لتمسح دموعها وتقبل يدها فافعل.

تزف العراضة الدمشقية العريس إلى صالة النساء وعند صالة النساء يقومون بزفة حتى المدخل ليأخذ زوجته ويعود بها إلى البيت لتكون هذه المرحلة بداية لرحلة طويلة كان يظنها النهاية.

دخلنا إلى البيت ومن البيت إلى غرفة النوم !! وضعت يداي على مقدمة رأسها وسمَّيت بالله قائلا : بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه

ثم توضأنا فقمت لأصلي ركعتين على نيَّة التوفيق كما جاء عن السلف وسألتها أن تصلي خلفي، ثم دعوت جهرا بدعاء ابن مسعود"اللهم بارك لي في أهلي ، وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير"[١٤]

---

[١٤] رواه الطبراني بسندين صحيحين

رفعت الخمار وأسدلت الستار وأطفئت الأنوار وتعوذت من طوارق الليل والنهار الأشرار منهم دون الأخيار

وهمست في أذنها : أحبك ..

هكذا بدأت رحلتي بنظرة فابتسامة، تآلف فإعجاب، تناقش فانسجام، تفاهم فوئام، ثم شوق إلى لقاء ثم وقوع في الحب ثم غرام فعشق فهيام وولع ووجد وختمت هذه الرحلة بالزواج.

يقول هوجو: "إني إذا أصف عواطفي أبا، أصف عواطف جميع الآباء" فأرجوا أن أكون قد وصفت عواطف جميع الأزواج حينما وصفت عواطفي كزوج.

ما أجمل أن يكتب الواحد من دمه ومن مداد قلمه !! قصصا حقيقية لا أساطير خرافية .. ويرسم فرحته بتكوين أسرة سعيدة فوق أزهار ربيعية .. ويسطر أحرفا مغلفة بالحب و المودة لنصفه الآخر مدادها دموع الفرح !! [١٥]

كم هو شيء عظيم إن كان في مكانه الصحيح وفي الوقت الصحيح، لم أستطيع إحصاء عدد المرات التي بحت لها بحبي سواءً عن طريق الهاتف أو الرسائل أو وجها لوجه. ولكني على الأقل استطعت إحصاء عدد المرات التي ذكرت بها كلمة حب في روايتي هذه وهي أكثر من مائتان وستين مرة فكم مرة سأذكرها في حياتي يا ترى؟

---

[١٥] مقطع من مقالة (أصدق وأنقى حب مع الإنسان) في المجلة العربية بقلم سليمان العقيلي.

لقد كان هذا اختياري فمن سيمشي على آثاري، ويختار الحب الحلال ؟ [١٦]

قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [١٧]

تم بحمد الله

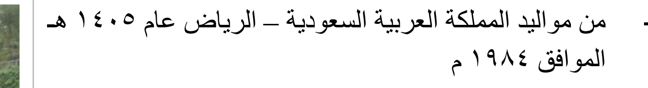
تم الانتهاء من تحريره في:
٢٩ من رجب لعام ١٤٣٠ هجرية
الموافق ٢٢ من يوليو لعام ٢٠٠٩ ميلادية

---

[١٦] أود التوضيح أن تجربتي هذه لم تكن صحيحة من وجهة نظر شرعية وإنما شابها بعد الأخطاء إما للحاجة بسبب العادات والتقاليد وإما لجهل وسوء فهم مني، فلا تؤخذ هذه الرواية كمرجع ديني لمثل هذه الأمور لأن كل ما أردته منها أن أوضح فكرة محاسن الزواج والحب بطرق شرعية وأرجوا من الله أن أكون قد نجحت في توصيل هذه الفكرة، إن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن الله، وإن خالفتموني في بعض النقاط في الرواية فهذا طبيعي والخلاف كما قال الشافعي لا يفسد للود قضية، أحبكم بالله وأسأل الله لجميعكم التوفيق والسداد، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١٧] التوبة: ١٠٥

الكاتب في سطور:



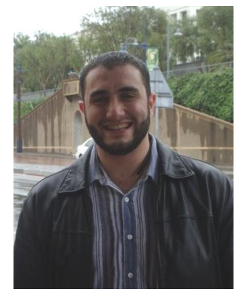
- من مواليد المملكة العربية السعودية – الرياض عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٤ م

- حاصل على بكالوريوس في نظم المعلومات الإدارية من جامعة فيلادلفيا – الأردن

- له عدة كتابات على الإنترنت، من أشهرها:

١- حديث الروح.
٢- مهارات البحث في جوجل.
٣- تصميم الاستبيانات باستخدام مستندات جوجل.
٤- مقدمة إلى إدارة المعرفة.
٥- مقدمة إلى المنظمة المعرفية.
٦- تأملات في الحياة العملية.
٧- مقدمة في أخلاقيات العمل.
٨- نحو كتابة أفضل.
٩- الدراسات العليا بين الوهم والحقيقة.
١٠- مذكرات مدخن سابق.

- يعمل حاليا كتنفيذي أبحاث في شركة سينوفيت (Synovate.com) - السعودية، منذ سبتمبر لعام ٢٠٠٨ وحتى الآن.



للتواصل مع الكاتب:
m.sbeai@gmail.com



الحب الحلال | نسخة إلكترونية | الإصدار الأول | ١٢ أغسطس ٢٠١٠
نسخة إلكترونية | الإصدار الثاني | ١٧ أغسطس ٢٠١٠ | " تعديل وتنسيق"